المنتقى الصحيح

من كتاب

الإذاعة

لما كان وما يكون بين يدي الساعة

تأليف

أبي الطيب صديق حسن خان

المتوفى سنة ١٣٠٧هـ

هذبه وعلق عليه

عصام موسى هادي

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ. ٢٠٠٤م

المنتقى الصحيح

من كتاب الإذاعة

لما كان وما يكون بين يدي الساعة

تأليف
أبي الطيب صديق حسن خان
المتوفى سنة ١٣٠٧هـ

هذبه وعلق عليه

عصام موسى هادي

الدار العثمانية
عمان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إنَّ الحمد لله ؛ نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله ؛ فلا مضلَّ له ، ومن يضلل ؛ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾.

أما بعد: فقد عمت الفتن أرجاء الأرض، وزلزل المسلمون زلزالاً شديداً من كثرة تسلط عدوهم عليهم وكثرة ما ينوبهم من محن وفتن؛ ممن جعل العامة يهرعون إلى كتب الفتن وأشراط الساعة علهم يجدون فيها بغيتهم من نصر قريب أو أمل يعيد للأمة مكانتها ويرفع عنها ما هي فيه من ذل وخنوع، ولكن هذه الكتب لا تخلو من غث وسمين، ومما زاد في الطين بلة صدور كتب من أناس جهلاء أنزلوا الأحاديث وحملوها على غير منزلها ولا محملها مما رتب عليه ازدياد الشر واتساع الخرق على الراقع، ومما يدهش المرء أن يظهر في هذا العصر كتاب دجالون كذابون زوروا كتباً وزعموا فيها أن هناك حديثاً رواه فلان في كتاب فلان وهو مخطوطة برقم كذا وكل هذا كذب وهذيان، بل إن تعجب فعجب من أحدهم ينقل من نسخة في المكتبة السرية للفتكان، ولا أدري كيف وصل إليها! وكيف لم تكن سرية في حقه!

أقول : كل ذلك دفعني إلى أن أنشر بين الناس كتاباً في الفتن وأشراط الساعة جمعه عالم من أهل السنة لخص كتابه من مجموعة كتب تحدثت عن الفتن وأشراط الساعة فجلب من كل بستان زهرة ومن كل كتاب خيره إلا أنه وقع فيه بعضاً من الأحاديث الضعيفة فأحببت أن أهذبه مقتصراً على الأحاديث الصحيحة وحاذفاً الأحاديث

الضعيفة عسى أن يكون فيه المغنى والقناعة والله الهادي والموفق لسبيل الرشاد وهو وحده المسؤول أن يكشف عن الأمة غمتها وأن يهيأ لها أمر رشد ويعيدها إلى العمل بكتاب ربها وسنة نبيها وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وكتبه عصام موسى هادي

عمان – الأردن

٢٠/ جمادى الأولى/ ١٤٢٤هـ.

ترجمة المؤلف

هو أبو الطيب صديق حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي.

ولد سنة (١٢٤٨هـ) ببلدة باس بريلي موطن جده لأمه ثم انتقلت به أمه بعد موت أبيه إلى بلدة آبائه قِنّوج ثم أقبل في صباه على العلوم فتعلم كتاب الله حتى أتقنه ثم أقبل على تعلم علوم الآلة من نحو وصرف وبلاغة ثم أقبل على تعلم السنة فذب عنها البدع حتى مدحه شيوخه فقال فيه شيخه محمد صدر الدين خان: له ذهن سليم وقوة الحافظة وفهم ثاقب ومناسبة تامة بالكتاب ومطالعة صحيحة واستعداد كامل.... إلى أن قال: وهو مع ذلك ممتاز بين أماثله والأقران فائق عليهم في الحياء والرشد والسعادة والصلاح وطيب النفس وصفاء الطينة والغربة والأهلية وكل الشأن.

أخذ العلم عن جماعة منهم القاضي حسين الأنصاري و محمد صدر الدين مفتي دهلي ومحمد بن يعقوب وعبد الحق الهندي.

وقد كانت بين صديق حسن خان وعبد الحي اللكنوي ردود ومنازعات قال فيها عبد الحي الكتاني: وكل منهما لا يخلو تصنيفه ورده وجوابه من فوائد فجزاهما الله خيراً.

وقال ابن المؤلف: لما بلغه نعي العلامة عبد الحي اللكنوي وضع يده على جبهته وأطرق رأسه برهة ثم رفع رأسه وعيناه تدمعان وهو يدعو للشيخ ويترحم وقال: اليوم غربت شمس العلم وقال: إن اختلافنا كان مقصوراً على تحقيق بعض المسائل ولم يأكل طعاماً في تلك الليلة.

قلت: وزعم بعض المستشرقين الكفار المؤلف كان عامياً، وأنه لما تزوج ملكة بوهبال جمع العلماء وكتبوا له مقابل المال. وهذا إفك مبين، وقد أحسن في رده عبد الحي الكتاني حيث قال معقباً على الكلام السابق : فكلام أعدائه فيه، وإلا فالتآليف تآليفه، ونفسه فيها متحد.

توفي سنة ١٣٠٧هـ ودفن ببهوبال وخلف ولدين.

له مؤلفات كثيرة ذكرها في ترجمته لنفسه في كتاب ((أبجد العلوم)) (٢٧٤/٣) ذكر منها في (٢٧٥/٣) كتابنا هذا.

مقدمة المؤلف

الحمدُ لله الذي أوضح سبيلَ الهدى، وهدى الصراط المستقيم، ونصب عليه في كل شيء دليلاً، وبيَّن منهج الحق ووعد عليه وَعْدَ الصدق لمن سلكه واستطاع إليه سبيلاً، والصلاةُ والسلام على المصطفى وأحمد المجتبى، الذي بعثه إلى الخلق كافة نبياً ورسولاً، وأرسله رحمة للعالمين تطبيقاً للصورة على المعنى، وتنويهاً بالمجاز إلى الحقيقة، وَمَنْ أصدق من الله قيلا، وعلى آله وصحبه وحِزْبه الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، وما بدلوا تبديلاً، فهم أكرم الخلق علماً، وأفضل الناس عملاً، وأشرفهم قبيلاً وجيلاً.

وبعد؛ فيقول الوجود بين العدمين والعلاوة بين العدلين، أبو الطيب ابن أبي أحمد بن أبي الحسن الحسيني القنوجي البخاري، ألحقه الله بسلفه الصالحين، وجعل له لسان صدق في الآخرين:

إنَّ المراد من تأليف هذا الكتاب في هذا الزمان المملوء من الآفات والأكدار بالشيء الكثير: حفظ جملة صالحة من الأحاديث الواردة في أبواب الفتن وأسبابها على المسلمين على طريق الاختصار، وضبط أشراط الساعة التي وردت في الآثار، وذكرها عصابةُ أهل الحديث في دواوينهم الكبار؛ تذكرة لأهل الغفلة والاغترار، وتبصرة لأولي البصائر والأبصار، الذين أخلصهم الله تعالى بخالصة ذكرى الدار.

فعسى أن ينتهوا عن بعض الذنوب، وينتبهوا عن سنة الغفلة، وتلين منهم قاسيات القلوب، ويغتنموا المهلة قبل الوهلة، كيف لا والدنيا قد ولَّت جداً، وأذنت بالانصرام، ومرت بأهلها مر السحاب وهم نيام.

كما دلت على ذلك أدلة الكتاب، وأفصحت به نصوص الحديث المستطاب.

ألفته بين يدي الساعة حين اشتعلت نيران الملمات، وعمت البلايا والفتن، وتواترت الآفات والنوازل في كل قُطْر من أقطار الأرض على أهل الزمن، وعاد الإسلام فيه غريباً كما بدأ؛ لما توالى عليه وعلى أهله من الحوادث والمحن.

والدنيا لم تخلق للبقاء، ولم تكن دار إقامة؛ وإنما هي منزل من منازل الآخرة، ومزرعة للتزود منها إلى ديار الأفراح التي نعمها فاخرة ذاخرة.

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة ولكنها دار انتقال لمن عقل
إذا أضحكت أبكت وإن هي أقبلت تولت وإن أعطت فأيامها دول

وما أحسن قول القائل:

نَزَلْناها هنا ثم ارتحلنا كذا الدنيا نزول وارتحال
يظن المرء في الدنيا خلوداً خلود المرء في الدنيا محال

ولنعم ما قيل:

إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوتُ إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوتُ

ولله در القائل:

هي الدنيا تقول لصاحِبيها حَذار حَذارِ من بطشي وفتكي
فلا يغرركم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي

ولبعضهم ولله دره:

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى ولم تر بالباقين ما يصنع الدهر
فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم عفاها فحالت بعدك الريح والقطرُ
وهل بصرت عيناك حياً بمنزل على الدهر إلا بالعراء له قبرُ
فلا تحسبن الوفر مالاً جمعته ولكنّ ما قدمت من صالح وفرُ
مضى جامعوا الأموال لم يتزودوا سوى الفقر يا بؤسى لمنْ زادهُ الفقرُ
فحتام لا تصحو وقد قرب المدى وحتام لا ينجاب عن قلبك الشَّرُّ
بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا وتذكرُ قولي حين لا ينفع الذكرُ
فصبراً على الأيام حتى تجوزُها فعما قليل بعدها يُحْمَدُ الصَّبرُ

وسيأتي الكلام الحق، والقول الصدق في أنه لا سلامة من الخلق.

هذا وأَمْرُ السَّاعةِ شديدٌ، وهْوَ لها مزيد، وأَمَدُها بعيد.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ٢].

وإن الله تعالى في ذلك اليوم يحكم بين الأولين والآخرين، من الأحرار والعبيد، ويقضي للمؤمنين على الكافرين، ويميز المخلصين له الدين عن المنافقين، ما قال سبحانه:﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود:١٠٣]. وقال تعالى: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ [القمر:٤٦]، وقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ ﴾ [الرحمن:٣١]، وقال: ﴿وَامْتَازُوا اليَوْمَ أَيُّهَا المجْرِمُونَ ﴾ [يس: ٥٩]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ [يونس:٤٥]، وقال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُماًّ﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقال: ﴿وَنَحْشُرُ المجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴾ [طه: ١٠٢]، وقال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤]، وقال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت))، أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن[1].

فهي الساعة الموعود أمرها، ولعظمها أكثر الناس السؤال عنها رسول الله ﷺ حتى أنزل الله عليه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِ لاَ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه، وهذا مهيع كلام العرب، فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها، سماها الله في كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة، ذكرها القرطبي في ((التذكرة))، والفتني في ((تحفة الإخوان)).

ومما قيل في معنى ما ذكرنا هذا النظم:

مثل لنفسك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور

إذ كورت شمس النهار وأدنيت ... حتى على رؤس العباد تسير

---

(١) الترمذي (٤٣٣/٥) وفي نسخة قال: ((حسن غريب)).

وإذا النجوم تساقطت وتناثرت	وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا البحار تفجرت من خوفها	ورأيتها مثل الحميم تفور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها	ورأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت وتخربت	خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة حشرت	وتقول للأملاك أين نسير؟
وإذا تقات المسلمين تزوجوا	مثل حور عين زانهن شعور
وإذا المؤدة سئلت عن شأنها	بأي ذنب قتلها ميسور؟
وإذا الجليل طوى السما بيمينه	طي السجل كتابه المنشور
وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت	تبدو لنا يوم القصاص أمور
وإذا الصحائف نشرت فتطايرت	هتكت إذاً للمذنبين ستور
وإذا السماء تكشطت عن أهلها	ورأيت أفلاك السماء تدور
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها	فلها على أهل الذنب زفير
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت	لفتىً على طول البلاء صبور
وإذا الجنين معلق مع أمه	يخشى القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية	كيف المصر على الذنوب دهور؟

وقال تعالى:﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ ﴾[غافر:٤٦].

وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

وقال : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الروم:١٤]، وهو في القرآن كثير طيب.

والساعة: كلمة يعبر بها في العربية عن جزء من الزمان غير محدود، وفي العُرْف: على جزء من أربعة وعشرين جزء من يوم وليلة، للذين هما أصل الأزمنة، وتقول العرب: أفعل كذا الساعة، وأنا الساعة في أمر كذا، تريد الوقت الذي أنت فيه، والذي يليه تقريباً له.

وحقيقة الإطلاق فيها أنَّ الساعة بالألف واللام عبارة في الحقيقة عن الوقت الذي أنت فيه، وهو المسمى بالآن.

وسميت القيامة ساعة؛ إما لقربها فإن كل آت قريب، وإما تنبيهاً على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود وتكسر العظام، وقيل: لأنها تأتي بغتة في ساعة، وقيل: غير ذلك.

وأمر الساعة أقرب من لمح البصر، ومقدار هذا اليوم خمسون ألف سنة، وإنَّ بيْن يديٍ الساعة فتناً كثيرة، ومحناً أثيرة، أخبر عنها النبي ﷺ وبَيَّنَ أماراتها وعلاماتها، وأوضح أشراطها وآفاتها، ولم يغادر صغيرة منها ولا كبيرة؛ ليكون أهل كل قرن على حذر منها، متهيئين لها بالأعمال الصالحة الباقية، غير منهمكين في الشهوات العادية، واللذات الفانية، فأردت أن أذكر أخبار تلك الفتن، وآثار هذه المحن في كتابي هذا في بابٍ بابٍ على حدة، وأضمنه فرائد شريفة، وفوائد أثيرة، وفاء للعدة، سميته: « الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة » وطويت المؤلف على:

مقدمة في معنى الفتنة، وأبواب في ذكر ما جاء من الفتن والمحن وأشراط القيامة إلى نفخ الصور، وخاتمة في بيان مدة الدنيا وما يناسبها، وإلى الله ترجع الأمور.

والله سبحانه أسأل أن يخلص نيتي، ويحسن طويتي، فإنما الأعمال بالنيات، وإنَّ الحسنات يذهبن السيئات، وإنما لكل امرئ ما نوى، ولله سبحانه ما بقي وما مضى.

المقدمة في معنى الفتنة

قال أهل العلم: الفتنة هي المحنة والعذاب والشدة وكل مكروه وآيل إليه، كالكفر والإثم والفضيحة والفجور والمصيبة وغيرها من المكاره، فإن كانت من الله فهي على وجه الحكمة، وإنْ كانت من الإنسان بغير أمره سبحانه فهي مذمومة.

وقد ذم الله تعالى الإنسان بإيقاع الفتنة، كقوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة:١٩١]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [البروج:١٠].

قال الراغب[1]: أصل الفَتْنِ: إدخال الذَّهبِ النار لِتَظْهَرَ جَوْدَتُهُ مِنْ رداءته، واستعمل في إدْخال الإنسانِ النارَ، انتهى.

قال في «فتح الباري»[2]: ويطلق على العذاب، كقوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات:٤]، وعلى ما يحصل عنه العذاب، كقوله تعالى: ﴿ أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ [التوبة: ٤٩]، وعلى الاختبار، كقوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ [طه:٤٠]، وفيما يُدْفَعُ إليه الإنسانُ مِن شِدَّةٍ ورخَاء، وفي الشِّدّة أظهرُ معنى وأكثر استعمالاً، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]، ومنه قوله: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء:٧٣]، أي: يوقعونك في بَلِيَّةٍ وشِدَّةٍ في صرفك عن العمل.

وقال غيره: أصل الفتنة الاختبار، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، قال تعالى: ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾ [الصافات:١٦٢]، وقال: ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم:٦]، وقال: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ [المائدة:٤٩]، وقال: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥]، أي اتقوا ذنباً يعمكم أثره، كإقرار المنكر بين أظهركم، والمداهنة في الأمر بالمعروف، وافتراق الكلمة، وظهور البدع والتكاسل في الجهاد.

قال القرطبي[3]: وفي هذا تنبيه بالغ على التحذير من الفتن.

---

(١) الأصبهاني في مفرداته (٦٢٣).

(٢) ابن حجر (٣/١٣) وكل ما مضى إنما هو تلخيص لما في الفتح .

(٣) في التذكرة (٦٠٦).

باب في اقتراب الساعة ومجيئها

قال تعالى:﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ القَمَرُ ﴾ [القمر:١]، وقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨]، أي: أماراتها وعلاماتها.

قال البغوي: وكان النبي ﷺ من أشراط الساعة.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ [الأحزاب:٦٣]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ [الزخرف:٦٦]، وقال: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء:١]، وقال: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١]، والآيات في ذلك كثيرة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « إنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس » رواه الشيخان[1]، وفي رواية: « إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من صلاة العصر إلى غروب الشمس »[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين». أخرجه البخاري ومسلم[3].

قال القرطبي[4] : ومعناها كلها على اختلاف ألفاظها: تقريب أمر الساعة التي هي في القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل:٧٧].

والأحاديث في الباب لا تكاد تحصى، ولا يقال كيف يوصف بالاقتراب ما قد مضى قبل وقوعه ألف ومائتان وأربع وتسعون عاماً؟ لأن الأجل إذا مضى أكثره وبقي أقله فهو قريب.

---

(١) البخاري (١٢٧٤/٣) والحديث لم أره في صحيح مسلم ولم أر من عزاه إليه والحديث خرجه مالك وأحمد أيضاً.

(٢) البخاري (٢٧٤٠/٦).

(٣) البخاري (٢٣٨٥/٥) ومسلم (٢٢٦٨/٤).

(٤) في التذكرة (٧١٠).

وفي المثل السائر: ما أقرب ما هو آتٍ، وما أبعد ما هو فات.

ولقرب قيامها عنده تعالى جعلها الله تعالى كغد الذي بعد يومك فقال: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً (٦)وَنَرَاهُ قَرِيباً (٧) ﴾ [المعارج]، ولما كان أمر الساعة شديداً كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها، ولذلك أكثر النبي ﷺ من بيان أشراطها وأماراتها، وأخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة، ونبه أمته وحذرها ليتهيئوا لتلك العقبة الشديدة. ووقت مجيئها مما انفرد الله بعلمه، وقد ثبت أن النبي ﷺ سئل عن الساعة فقال: « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل... » الحديث وهو في الصحيح يعرف بحديث جبريل[1].

وهذا يدل على أنه لم يكن عنده علم به، وقد نطق به القرآن الكريم: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِ لاَ هُوَ﴾ [الأعراف:١٨٧]، فلم يكن يعلمها هو ولا غيره، وإنما أخفاه؛ لأنه أصلح للعباد لئلا يتباطئوا عن التأهب والاستعداد له، كما أن خفاء وقت الموت أصلح لهم وأنفع، وقد انتدبت جماعة من أهل العلم على تعيين قربها وزمن كونها ومجيئها، واستدلوا بأحاديث غير صحيحة وما صح منها فدلالتها غير صريحة.

قال السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليماني رحمه الله : إنما ثبت عنه ﷺ قرب بعثته من قيام الساعة، كما أخرج ابن جرير عنه ﷺ: « ما مثلي ومثل الساعة إلا كفرسي رهان »[2].

فهذه الأحاديث دالة على قرب الساعة من مبعثه ﷺ، والإخبار عن قربها من مبعثه ﷺ يحتمل أنه إخبار عن قربها عند الله تعالى، وإن كانت بعيدة، فهي رد لقول المشركين بأنه لا قيام لها، وإليه أشار قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً (٦)وَنَرَاهُ قَرِيباً (٧)﴾ [المعارج].

---

(١) البخاري (٢٧/١) ومسلم (٣٧/١).

(٢) رواه ابن جرير في تاريخه (١٧/١).

ويحتمل أن المراد: قرب أشراطها من بعثته ﷺ، وقد ظهر كثير من الأشراط، وأنها ظهرت من بعد وفاته بقليل، بل قد جعل ﷺ موته من أشراطها.

وهذا يدل على أنه ﷺ بُعث وقد قربت أشراط الساعة، وتقدير المضاف بالقرائن ثابت لغة وكتاباً وسنة ولا نكير فيه.

ثم يدل لتقدير المضاف أنه قد مضى بعد وفاته ﷺ قريب من اثنتي عشرة مائة ولم تقم الساعة فلا قرب لقيامها ببعثته، بل لأشراطها ويكون حديث: ((إن علامات الساعة كخرزات إذا وقع منها شيء تبع بعضها بعضاً))[1]، خاصاً بالعلامات العظام، كخروج الدجال، ونزول عيسى، وطلوع الشمس من مغربها.

وأما تعيين زمان الساعة، والقرن الذي تقع فيه، فهو غيب لم يأت عليه دليل ينهض إلا أن إتيان أشراطها مؤذن بقربها، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[محمد:١٨]. انتهى كلامه رحمه الله.

(١) أحمد في مسنده (٢/٢١٩) والحاكم في المستدرك (٤/٥٢٠).

باب في فتن تكون في هذه الأمة

وهي أنواع سردت أحاديثها سرداً واحداً.

قد حذر النبيُّ ﷺ من الفتن في أحاديث كثيرة متضمنة للوعيد على التبديل والإحداث؛ لأن الفتن غالباً تنشأ عن ذلك.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « أنا على حوضي أنتظر من يرد عليّ فيؤخذ بناس من دوني، فأقول أمتي، فيقال: لا تدري مشوا على القهقرى ». رواه البخاري[1].

وعن أبي وائل قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: « أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني. فأقول: أي رب أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك». أخرجه البخاري[2].

أي: ما أحدثوا من الارتداد عن الإسلام، أو من المعاصي الكبيرة البدنية، أو البدع الاعتقادية، قاله القسطلاني.

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها قالت: استيقظ النبي ﷺ من النوم محمراً وجهه يقول: « لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » وعقد سفيان بن عيينة — الراوي لهذا الحديث — تسعين، أو عقد مائة، قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث » رواه البخاري[3].

أي: الزنا وأولاد الزنا، أو الفسوق والفجور. وفي «الفتح»[4] ترجيح الأخير، قال: لأنه قابله بالصلاح، وإنما خص العرب بالذكر لأنهم أول من دخل في الإسلام.

وأورده القرطبي في «تذكرته» في باب إقبال الفتن ونزولها[1]، وقال[2]: أخبر عليه الصلاة والسلام بما يكون بعده من أمر العرب وما يستقبلهم من الويل والحرب، وقد

---

(١) البخاري (٦/٢٥٨٧).

(٢) البخاري (٦/٢٥٨٧).

(٣) البخاري (٦/٢٥٨٩) ورواه مسلم أيضاً (٤/٢٢٠٧).

(٤) (١٣/١٠٩).

وجد ذلك بما استؤثر عليهم به من الملك والدولة والأموال والإمارة، فصار ذلك في غيرهم من الترك والعجم، وتشتتوا في البوادي بعد أن كان العز والملك والدنيا لهم ببركته عليه الصلاة والسلام، وما جاء به من الدين والإسلام، فلما لم يشكروا النعمة وكفروها بقتل بعضهم بعضاً، وسلب بعضهم أموال بعضهم، سلبها الله منهم ونقلها إلى غيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد:٣٨]، ولهذا قال علماؤنا قولها: « أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث » دليل على أن البلاء قد يرفع عن غير الصالحين إذا كثر الصالحون، فأما إذا كثر المفسدون وقل الصالحون، هلك المفسدون والصالحون معهم إذا لم يأمروا بالمعروف ويكرهوا ما صنع المفسدون، وهو معنى قوله سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥]، بل يعم شؤمها من تعاطاها ومن رضيها، هذا بفساده، وهذا برضاه، انتهى.

ومنها حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة، فقال: « هل ترون ما أرى؟» قالوا: لا ، قال: «فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر ». أخرجه الشيخان(٣).

وحسن التشبيه بالقطر لإرادة التعميم؛ لأنه إذا وقع في أرض معينة عمها، ولو وقع في بعض جهاتها.

وعن كرز بن علقمة الخزاعي قال: سأل رجل النبي ﷺ: هل للإسلام من منتهى؟ فقال رسول الله ﷺ: « أيما أهل بيت من العرب والعجم أراد الله بهم خيراً أدخل عليهم الإسلام». فقال: ثم ماذا؟ قال: « ثم تقع الفتن كالظلل، فقال الرجل: كلا والله إن شاء الله، قال: بلى والذي نفسي بيده لتعود فيها أساود صباً يضرب بعضكم رقاب بعض ». أخرجه البيهقي(٤).

---

(١) (٦٠٦).

(٢) في التذكرة (٦٠٩).

(٣) البخاري (٦٦٤/٢) ومسلم (٢٢١١/٤).

(٤) قلت : رواه من هو أعلى طبقة وأشهر فقد رواه أحمد (٤٧٧/٣).

قال الزهري: أساود صباً: الحية السوداء إذا أرادت أن تنهش ارتفعت هكذا ثم انصبت.

وخرجه أبو داود الطيالسي أيضاً[١].

قال أبو الخطاب ابن دحية الحافظ: هذا حديث لا مطعن في صحة إسناده.

ورواه القرطبي[٢] بإسناده وقال: صباً جمع صاب، كغاز وغزى وهو الذي يميل ويلتوي وقت النهش ليكون أنكى في اللدغ وأشد صباً للسم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح وتظهر الفتن، ويكثر الهرج»، قالوا: يا رسول الله أيم هو؟ قال: «القتل القتل ». رواه البخاري ومسلم والترمذي[٣].

قال ابن بطال: وجميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراط قد رأيناها عياناً.

قال في «الفتح»[٤]: الذي يظهر أن الذي شاهده، كان منه الكثير مع وجود مقابله.

والمراد من الحديث استحكام ذلك، حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر وإليه الإشارة بالتعبير بقبض العلم، فلا يبقى إلا الجهل الصرف، ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم، لأنهم يكونون حينئذٍ مغمورين في أولئك.

والواقع أن الصفات المذكورة وجدت مباديها من عهد الصحابة، ثم صارت تكثر في بعض الأماكن دون بعض، والذي يعقبه قيام الساعة استحكام ذلك كما قررته، وقد مضى من الوقت الذي قال في ابن بطال ما قال نحو ثلاث مائة وخمسين سنة، والصفات المذكورة في ازدياد في جميع البلاد، ولكن يقل بعضها في بعض، ويكثر بعضها في بعض، وكلما مضت طبقة ظهر النقص الكثير في التي تليها، والمراد بكثرة القتل ما لا يكون على وجه الحق؛ كإقامة الحد والقصاص، انتهى.

---

(١) في مسنده (١٨٢/٢).

(٢) في التذكرة (٦٠٧).

(٣) البخاري (٢٥٩٠/٦) ومسلم (٢٠٥٧/٤) ولم أره في الترمذي.

(٤) (١٦/١٣).

قلت: وقد مضى من الوقت الذي قال فيه الحافظ ابن حجر ما قاله نحو خمسمائة سنة، والآفات المذكورة والفتن المسطورة في زيادة وفشو في جميع أقطار الدنيا حتى ملئت الآن جوراً وظلماً، ومن زمان النبوة نحو ألف وأربع وتسعين ومائتين إلى يومنا هذا، وفي كثرة الهرج أحاديث بألفاظ الصحيحين وغيرهما[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((بادروا بالأعمال فتناً، قبل أن تأتي كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا)) أخرجه مسلم[٢].

قلت: وهذا الحديث من أعلام النبوة، وقد وقع بيع الدين بعرض من الدنيا في غالب أقطار الأرض إلا من عصمه الله.

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ النبي ﷺ فزعاً مرعوباً يقول: ((سبحان الله! ماذا فتح الليلة من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟ مَنْ يوقظ صواحبات الحجر — يريد أزواجه — لكي يصلين؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)). أخرجه مسلم[٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء)) رواه البخاري[٤].

وعند مسلم[٥] من حديثه أيضاً مرفوعاً: ((لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس)).

وعنده[١] عن ابن عمرو بن العاص: ((إلا على شرار الخلق، وهم أشر من الجاهلية، لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم)).

---

(١) وحدث عن حوادث زماننا وكلك أسى وحرج وأسف، والله مغير فينا وفي الناس ولا ريب، وعد الله لا يخلف الله وعده.

(٢) مسلم (١/١١٠).

(٣) لم يروه مسلم وإنما رواه البخاري (١/٣٧٩).

(٤) البخاري (٦/٢٥٩٠).

(٥) مسلم (٤/٢٢٦٨).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم)) رواه البخاري والترمذي وحسنه[٢].

وعن ابن مسعود قال: ((أمس خير من اليوم، واليوم خير من غد، وكذلك حتى تقوم الساعة)). أخرجه الطبراني[٣] بسند صحيح.

قال ابن بطال: هذا الخبر من أعلام النبوة لإخباره بفساد الأحوال، وذلك من الغيب الذي لا يعلم بالرأي، وإنما يعلم بالوحي. انتهى[٤].

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه؛ فمن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذ به)). رواه البخاري ومسلم[٥].

وفي رواية لمسلم: ((تكون فتنة، النائم فيه خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القائم، والقائم فيه خير من الساعي، فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليستعذ به))[٦].

وفيه التحذير من الفتن، وأن شرها يكون بحسب الدخول فيها، والمراد بالفتن جميعها، أو ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل، وعلى الأول فقالت طائفة: بلزوم البيت. وقال آخرون: بالتحول من بلد الفتنة، ثم اختلفوا: فمنهم من قال: إذا هجم عليه شيء من ذلك يكف يده ولو قتل، ومنهم من قال: يدافع عن نفسه وماله وأهله، وهو معذور إن قَتل أو قُتل.

---

(١) مسلم (١٥٢٤/٣).

(٢) البخاري (٢٥٩١/٦) والترمذي (٤٩٢/٤).

(٣) في معجمه الكبير (١٥٤/٩).

(٤) انظر الفتح (٢١/١٣).

(٥) البخاري (١٣١٨/٣) ومسلم (٢٢١١/٤).

(٦) مسلم (٢٢١٢/٤).

وقال آخرون: إذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت من الواجب عليها، ونصبت الحرب وجب قتالها، وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على كل قادر الأخذ على يد المخطئ، ونصر المصيب، وهذا قول الجمهور.

وفَصّل آخرون فقالوا: كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة، فالقتال حينئذ ممنوع، وتنزل الأحاديث التي في هذا الباب غيره على ذلك، وهو قول الأوزاعي.

قال الطبري: والصواب أن يقال: إن الفتنة أصلها: الابتلاء، وإنكار المنكر واجب على من قدر عليه، فمن أعان المحق أصاب، ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي فيها عن القتال. وقيل: إن أحاديث النهي مخصوصة بآخر الزمان حيث يحصل التحقيق بأن المقاتلة، إنما هي في طلب الملك، والله أعلم[١].

ومنها حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه، يتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك ». أخرجه البخاري ومسلم[٢].

قال في «الفتح»[٣]: وهو كناية عن لزوم جماعة المسلمين، وطاعة سلاطينهم ولو عصوا.

---

(١) من الفتح (٣١/١٣).

(٢) البخاري (١٣١٩/٣) ومسلم (١٤٧٥/٣).

(٣) (٣٦/١٣-٣٧) وما بعده أيضاً من الفتح.

قال البيضاوي: المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على عمل شدة الزمان، وعض أصل الشجرة: كناية عن مكابدة المشقة، أو المراد اللزوم.

قال ابن بطال: فيه حجة لجماعة الفقهاء، في لزوم جماعة المسلمين، وترك الخروج على أئمة الجور؛ لأنه وصف الطائفة الأخيرة، بأنهم دعاة على أبواب جهنم، ولم يقل فيهم تعرف وتنكر، كما قال في الأولين، وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة.

قال الطبري: اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة، فقال قوم: هو للوجوب، والجماعة: السواد الأعظم، وقال قوم: المراد بالجماعة: الصحابة دون مَنْ بعدهم، وقال قوم: المراد بهم أهل العلم؛ لأن الله تعالى جعلهم حجة على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين.

قال الطبري: والصواب أنَّ المراد من الخير لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة، قال: وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا يتبع أحداً في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك، خشية من الوقوع في الشر، وعلى ذلك يُنَزَّلُ ما جاء في سائر الأحاديث، وبه يجمع بين ما ظاهره الاختلاف منها.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ويؤخذ منه — أي من هذا الحديث — ذم من جعل للدين أصلاً خلاف الكتاب والسنة، وجعلهما فرعاً لذلك الأصل الذي ابتدعوه، وفيه وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهدى النبوي، ولو قاله من قاله من رفيع أو وضيع، انتهى.

وعن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتن القاعد خير من الماشي فيها، والماشي خير من الساعي إليها، ألا فإذا وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كان له أرض فليلحق بأرضه»، فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت من لم يكن له إبل، ولا غنم، ولا أرض؟

قال: ((يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت)) ثلاثاً ، فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين فضربني رجل بسيفه، أو يجئ سهم فيقتلني؟ قال: ((يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار)). أخرجه مسلم[١].وأورده القرطبي في ((تذكرته)) في باب ما جاء في الفرار من الفتن[٢].

وعن أبي بردة قال: دخلت على محمد بن مسلمة، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: ((إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف، فإذا كان ذلك فأت بسيفك أحداً فاضرب به حتى ينقطع، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية)). وقد وقعت، وقد فعلتُ ما قال ﷺ، أخرجه ابن ماجه[٣]،وأورده القرطبي في ((تذكرته)) في باب الأمر بلزوم البيت في الفتن[٤].

قال علماؤنا – رحمة الله عليهم –: كان محمد بن مسلمة ممن اجتنب ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال، وأقام بالربذة، وممن اعتزل الفتنة أبو بكرة، وابن عمر، وأسامة بن زيد، وأبو ذر، وحذيفة، وعمران بن حصين، وأبو موسى، وأَهبان بن صيفي، وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، ومن التابعين: شريح، والنخعي، وغيرهما رضي الله عنهم .

قال القرطبي[٥]: وكانت تلك الفتنة والقتال بينهم على اجتهاد منهم، فكان المصيب منهم له أجران، والمخطئ له أجر، ولم يكن قتال على الدنيا؛ فكيف اليوم الذي تسفك فيه الدماء باتباع الهوى طلباً للملك والاستكثار من الدنيا! فواجب على الإنسان كف اليد واللسان عند ظهور الفتن، ونزول البلايا والمحن، نسأل الله السلامة والفوز بدار الكرامة.

---

(١) مسلم (٢٢١٢/٤).

(٢) (٦٢٨).

(٣) ابن ماجه (١٣١٠/٢).

(٤) (٦٢٩).

(٥) التذكرة (٦٣٠).

أقول: وقد فعلتُ مثل ذلك في زمن الفساد الذي وقع في إقليم الهند بين عساكر الفرنج وحكامهم في سنة ١٢٧٣ الهجرية، وابتلي ناس كثير به، وسموه الجهاد، ولم توجد شروطه ولم يكن على منهاج الشريعة الحقة، وانتدب لطلب الملك والرياسة فأصبحوا خاسرين، ولله الأمر مِنْ قبلُ ومِنْ بعدُ.

وفي الصحيح (باب مَنْ كره أن يكثر سواد الفتن والظلم) [١]، و (باب التعرب في الفتنة) [٢] أي: الإقامة بالبادية، وفيه حديث سلمة بن الأكوع: أن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو. أخرجه مسلم والنسائي أيضاً[٣].

ويستفاد من «الفتح» أن مدة سكنى سلمة بالبادية أربعين سنة[٤].

ومنها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شَعَف الجبال، ومواقع القطر يَفِرُّ بدينه من الفتن ». أخرجه الشيخان والنسائي ومالك وأبو داود[٥].

والشعف: جمع شعفة كأكم وأكمة: رءوس الجبال. قال في «الفتح»[٦]: والخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه، ولا يتأتى له الجهاد في سبيل الله. وقيل: يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، واختار النووي الخلطة، لمن لا يغلب على ظنه الوقوع في المعصية، فإن أشكل الأمر فالعزلة.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قام إلى جنب المنبر فقال: « الفتنة ها هنا، الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان، أو قال: قرن الشمس ». رواه البخاري والترمذي[٧].

---

(١) البخاري (٦/٢٥٩٦).
(٢) البخاري (٦/٢٥٩٧).
(٣) البخاري (٦/٢٥٩٧) ومسلم (٣/١٤٨٦) والنسائي (٧/١٥١).
(٤) الفتح (١٣/٤١).
(٥) البخاري (١/١٥) والنسائي (٨/١٢٣) ومالك (٢/٩٧٠) وأبو داود (٤/١٠٣) والحديث لم يروه مسلم.
(٦) (١٣/٤٣).
(٧) البخاري (٦/٢٥٩٨) والترمذي (٤/٥٣٠).

أشار ﷺ إلى المشرق؛ لأن أهله يومئذ أهل كفر فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية، وكذا وقع فكان وقعة الجمل، ووقعة صفين، ثم ظهور الخوارج في أرض نجد والعراق وما ورائها من المشرق، وكان أصل ذلك كله وسببه قتل عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وهذا علم من أعلام نبوته ﷺ.

قال في ((الفتح))[1]: أول الفتن كان من قبل المشرق، فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة.

وقال الخطابي: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة، وأصل النجد: ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور، فإنه ما انخفض منها، وتهامة كلها من الغور، ومكة من تهامة، انتهى.

وعرف بهذا وهاء ما قاله الداودي: إن نجداً من ناحية العراق، فإنه يوهم أن نجداً موضع مخصوص وليس كذلك، بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجداً، والمنخفض غوراً، انتهى ما في ((فتح الباري)).

وفي الصحيح : (باب التعوذ من الفتن) [2].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يرى ترك القتال في الفتنة، ولو ظهر أن إحدى الطائفتين محقة والأخرى مبطلة.

وعن خلف بن حوشب: كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن: قال امرؤ القيس :

الحرب أول ما تكون فتية	تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها	ولت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء ينكر لونها وتغيرت	مكروهة للشمِّ والتقبيل

رواه البخاري[3].

---

(١) (١٣/٤٩).

(٢) البخاري (٦/٢٥٩٧).

(٣) معلقاً ووصله البخاري في ((التاريخ الصغير)) كما في ((الفتح)).

قال في «الفتح»[1]: المراد بالتمثل بهذه الأبيات استحضار ما شاهدوه وسمعوه من رجال الفتنة، فإنهم يتذكرون بإنشادها ذلك، فيصدهم عن الدخول فيها حتى لا يغترو بظاهر أمرها أولاً. انتهى.

ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم». رواه البخاري ومسلم[2].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله -[3]: أي: بعث كل واحد منهم على حسب عمله إن كان صالحاً فعقباه صالحة، وإلا فسيئة، فيكون ذلك العذاب طهرة للصالحين، ونقمة على الفاسقين.

وفي «صحيح ابن حبان»[4] عن عائشة مرفوعاً: « إن الله تعالى إذا أنزل سطوته على أهل نقمته، وفيهم الصالحون، قبضوا معهم، ثم بعثوا على نياتهم وأعمالهم». وقد أخرجه البيهقي في «الشعب»[5].

وهذا يناسب حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب ». أخرجه الأربعة، وصححه ابن حبان[6].

والحاصل أنه لا يلزم من الاشتراك في الموت الاشتراك في الثواب أو العقاب، بل يجازى كل أحد بعمله على حسب نيته، وجنح ابن أبي جمرة إلى أن الذي يقع لهم ذلك بسبب سكوتهم عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأما من أمر ونهى فهم المؤمنون حقاً لا يرسل الله عليهم العذاب، بل يدفع الله بهم العذاب، ويؤيده قوله

---

(١) (١٣/٤٣).

(٢) البخاري (٦/٢٦٠٢) ومسلم (٤/٢٢٠٦).

(٣) في الفتح (١٣/٦٠).

(٤) ابن حبان (١٦/٣٠٥).

(٥) (٦/٩٨).

(٦) أبو داود (٤/١٢٢) والنسائي في الكبرى (٦/٣٣٨) وابن ماجه (٢/١٣٢٧) والترمذي (٤/٤٦٧) وابن حبان (١/٥٤٠).

تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي القُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [القصص:٥٩]،وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٣].

ويدل على تعميم العذاب بمن لم ينه عن المنكر، وإن لم يتعاطاه قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠].

ويستفاد من هذا مشروعية الهرب من الكفار، ومن الظلمة؛ لأن الإقامة معهم من إلقاء النفس إلى التهلكة، هذا إذا لم يعنهم ولم يرض بأفعالهم، فإن أعان أو رضي؛ فهو منهم، ويؤيده أمر النبي ﷺ بالإسراع في الخروج من ديار ثمود، وأما بعثهم على أعمالهم فحكم عدل؛ لأن أعمالهم الصالحة إنما يجازون بها في الآخرة، وأما الدنيا فمهما أصابهم من بلاء، كان تكفيراً لما قدموه من عمل سيئ، فكان العذاب المرسل في الدنيا على الذين ظلموا يتناول من كان معهم، ولم ينكر عليهم، فكان ذلك جزاء لهم على مداهنتهم، ثم يوم القيامة يبعث كل منهم فيجازى بعمله. قاله في «بهجة النفوس».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله [(١)]: وفي الحديث تحذير وتخويف عظيم لمن سكت عن النهي، فكيف بمن داهن؟ فكيف بمن رضي؟ فكيف بمن أعان؟ نسأل الله السلامة. انتهى.

قال القرطبي في «تذكرته» [(٢)]: إن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على مَن رآه أن يغيره إما بيده، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه، ليس عليه أكثر من ذلك، فإذا أنكر بقلبه، فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك، وفي حديث أبي سعيد الخدري يرفعه: « وذلك أضعف الإيمان »[(٣)]، وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضي بمنزلة الفاعل فانتظم في العقوبة، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠]، وروى أبو داود[(٤)] عن العرس بن عميرة الكندي، عن النبي صلى الله

(١) في الفتح (١٣/٦١).
(٢) (٦١٠).
(٣) رواه مسلم (١/٦٩).
(٤) (٤/١٢٤).

عليه وآله وسلم قال: ((إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها، وقال مرة: فأنكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها)). وهذا نص في الغرض، وحَسّنَ رجلٌ عند الشعبي قتلَ عثمان ابن عفان رضي الله عنه، فقال الشعبي: قد شركت في دمه.

وفي صحيح الترمذي[1]: ((إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده)). فالفتنة إذا عملت هلك الكل، انتهى.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين سنة، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً))، قال: قلت: أمما بقي؟ قال: ((مما مضى)). أخرجه أبو داود[2].

قال الهروي: قال الحربي: ويروى (تزول) وكأن (تزول) أقرب؛ لأنها تزول عن ثبوتها واستقرارها، و(تدور) يكون بما يحبون ويكرهون، فإن كان الصحيح سنة خمس؛ فإن فيها قام أهل مصر وحصروا عثمان، وإن كانت الرواية سنة ست، ففيها خرج طلحة والزبير إلى الجمل، وإن كانت سنة سبع ففيها كانت صفين، غفر الله لهم أجمعين.

وقال الخطابي: يريد عليه الصلاة والسلام أن هذه المدة إذا انقضت حدث في الإسلام أمر عظيم يخاف على أهله ذلك الهلاك؛ يقال للأمر إذا تغير واستحال: دارت رحاه، وهذا — والله أعلم — إشارة إلى انقضاء مدة الخلافة.

وقوله: (يقم لهم دينهم)؛ أي ملكهم وسلطانهم، وذلك من لدن بايع الحسنُ معاوية إلى انقضاء بني أمية من المشرق نحو من سبعين سنة، وانتقاله إلى بني العباس، والدين: الملة والسلطان، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المِلِكِ﴾ [يوسف:٧٦]؛ أي: في سلطانه.

---

(١) (٤/٤٦٧) واعلم أنه من التساهل إطلاق لفظ الصحيح على سنن الترمذي وغيره من كتب السنن.

(٢) (٤/٩٨).

وقوله: (تدور رحى الإسلام) دوران الرحى كناية عن الحرب والقتال، شبهها بالرحى الدائرة التي تطحن؛ لما يكون فيها من قبض الأرواح، وهلاك الأنفس، والله أعلم، ذكر ذلك القرطبي في ((تذكرته)) في (باب ما جاء في رحى الإسلام وما تدور)[١].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: بينا النبي ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبي ﷺ: ((إن ابني هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين)). رواه البخاري[٢].

والمراد فئة الحسن وفئة معاوية رضي الله عنهما، وفيه أن السيادة إنما يستحقها من ينتفع به الناس؛ لكونه علق السيادة بالإصلاح، وفيه علم من أعلام نبينا ﷺ؛ فقد ترك الحسن الملك ورعاً ورغبة فيما عند الله، ولم يكن ذلك لعلة ولا لقلة ولا لذلة، بل صالح معاوية رعاية للدين، وتسكيناً للفتنة، وحَقَنَ دماءَ المسلمين، وفي الحديث أيضاً دلالة على رأفة معاوية بالرعية وشفقته على المسلمين، وقوة نظره في تدبير الملك، ونظره في العواقب، قاله القسطلاني.

قال ابن بطال: سَلّم الحسنُ الأمر لمعاوية وبايعه على إقامة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ودخل معاوية الكوفة فبايعه الناس، فسميت سنة الجماعة؛ لاجتماع الناس وانقطاع الحرب، كذا في ((الفتح))[٣].

وقال: وفي الحديث منقبة للحسن بن علي.

وفيه رد على الخوارج الذين كانوا يكفرون علياً ومن معه، ومعاوية ومن معه بشهادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للطائفتين بأنهم من المسلمين.

وفيه فضيلة الإصلاح بين الناس، ولا سيما في حقن دماء المسلمين.

وفيه ولاية المفضول الخلافة مع وجود الأفضل؛ لأن الحسن ومعاوية ولي كل منهما الخلافة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد في الحياة، وهما بدريان قاله ابن التين.

---

(١) (٦١٤-٦١٥).

(٢) (١٣٢٨/٣).

(٣) (٦٣/١٣).

وفيه جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى في ذلك صلاحاً للمسلمين، والنزول عن الوظائف الدينية والدنيوية بالمال، وجواز أخذ المال على ذلك وإعطائه بعد استيفاء شرائطه بأن يكون المنزول له أولى من النازل، وأن يكون المبذول من مال الباذل، وإن كان في ولاية عامة، وإن كان المبذول من بيت المال اشترط أن تكون المصلحة في ذلك عامة، أشار إلى ذلك ابن بطال.

وفيه إطلاق الابن على ابن البنت.

وقد انعقد الإجماع على أن امرأة الجد والد الأم محرمة على ابن بنته، وأن امرأة ابن البنت محرمة على جده، وإن اختلفوا في التوارث.

واستدل به على تصويب رأي من قعد عن القتال مع معاوية وعلي، وإن كان عليّ أحق بالخلافة وأقرب إلى الحق، وهو قول سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، ومحمد ابن مسلمة وسائر من اعتزل تلك الحروب، وذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علي لامتثال قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]، ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية، وقد ثبت أن من قاتل علياً كانوا بغاة، وهؤلاء مع هذا التصويب متفقون على أنه لا يذم أحد من هؤلاء؛ بل يقولون اجتهدوا وأخطئوا. انتهى[١].

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((لا تقوم الساعة، حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه)). رواه الشيخان[٢].

أي: كنت ميتاً، قال ابن بطال: تغبط أهل القبور وتمني الموت، وذلك عند ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله، وظهور المعاصي والمنكر،

---

(١) من الفتح (٦٧/١٣).

(٢) البخاري (٢٦٠٤/٦) ومسلم (٢٢٣١/٤).

انتهى، وليس هذا عاماً في حق كل أحد، إنما هو خاص بأهل الخير، وأما غيرهم، فقد يكون لما يقع لأحدهم من المصيبة في نفسه أو أهله أو دنياه، وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه.

ويؤيده حديث أبي هريرة يرفعه: ((لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء)). رواه مسلم[١].

وفيه إيماء إلى أنه لو فعل ذلك بسبب الدين لكان محموداً، ويؤيده ثبوت تمني الموت عند فساد أمور الدين عن جماعة من السلف، قال النووي: لا كراهة في ذلك، بل فعله خلائق من السلف، منهم عمر بن الخطاب، وعبس الغفاري، وعمر ابن عبد العزيز وغيرهم.

ثم قال القرطبي: كأن في الحديث إشارة إلى أن الفتن والمشقة البالغة ستقع حتى يخف أمر الدين ويقل الاعتناء بأمره، ولا يبقى لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه ومعاشه نفسه وما يتعلق به، ومن ثم عظم قدر العبادة أيام الفتنة، كما أخرج مسلم والترمذي من حديث معقل بن يسار يرفعه: ((العبادة في الهرج كهجرة إلي))[٢].

وقد أخرج الحاكم[٣] عن أبي سلمة قال: عدت أبا هريرة، فقلت: اللهم اشف أبا هريرة، فقال: اللهم لا ترجعها، إن استطعت يا أبا سلمة [أن تموت] فمت، [فقلت: يا أبا هريرة: إنا لنحب الحياة، فقال:] والذي نفسي بيده ليأتين على العلماء زمان الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر[٤]. وذكر (الرجل) في الحديث للغالب، وإلا فالمرأة يمكن أن تتمنى الموت لذلك أيضاً.

وفي الصحيح[٥] (باب تغير الزمان)؛ أي: عن حاله الأول حتى يعبدوا الأوثان.

---

(١) مسلم (٤/٢٢٣١).

(٢) مسلم (٤/٢٢٦٨) والترمذي (٤/٤٨٩).

(٣) (٤/٥٦٣).

(٤) من الفتح (١٣/٧٥-٧٦).

(٥) البخاري (٦/٢٦٠٤).

ومنها حديث حارثة بن وهب الخزاعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تصدقوا، فسيأتي على الناس زمان يمشي بصدقته فلا يجد من يقبلها ». رواه البخاري[1].

وهذا إنما يكون في الوقت الذي يستغني الناس فيه عن المال لاشتغالهم بأنفسهم عند الفتنة.

وعن أبي أمية الشعباني قال: قلت: يا أبا ثعلبة! كيف تقول في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]؟، فقال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: « ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن كالقبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم » أخرجه أبو داود والترمذي[2].

وعن ابن عمرو بن العاص قال: شبك رسول الله ﷺ أصابعه، وقال: «كيف أنت يا عبد الله بن عمرو إذا بقيت في حثالة قد مرجت عهودهم، واختلفوا فصاروا هكذا»، وقال: فكيف بنا يا رسول الله؟ قال: «تأخذ ما تعرف وتدع ما تنكر، وتقبل على خاصتك وتدعهم وعوامهم » أخرجه البخاري[3].

قال الحميدي: وليس هو في أكثر النسخ.

والحثالة: ما يسقط من قشر الشعير ونحوه إذا نقي، وكأنه الرديء من كل شيء.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يا أبا ذر، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف؟ قلت: ما خار لي الله ورسوله، قال: عليك بالصبر، أو قال: تصبر، ثم قال لي: يا أبا ذر، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: كيف أنت إذا رأيت

---

(١) (٥١٧/٢) ومسلم أيضاً (٧٠٠/٢).

(٢) أبو داود (١٢٣/٤) والترمذي (٢٥٧/٥).

(٣) روى البخاري (١٨٢/١) طرفاً منه معلقاً ووصله غير واحد انظر الصحيحة (٤١٧/١).

أحجار الزيت قد غرقت بالدم؟ قلت: ما خار لي الله ورسوله، قال: عليك بمن أنت منه، قلت: يا رسول الله، أفلا آخذ سيفي أضعه على عاتقي، قال: شاركت القوم إذاً، قلت: فما تأمرني؟ قال: تلزم بيتك، قلت: فإن دخل على بيتي، قال: إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ثوبك على وجهك، يبوء بإثمك وإثمه » أخرجه أبو داود[1].

والمعنى: أن القتلى تكثر لكثرة الفتن، حتى يشترى موضع قبر يدفن فيه الميت بعبد لضيق المكان عنهم.

قال التوربشتي: هي الحرة التي كانت بها الوقعة من يزيد، والأمير على تلك الجيوش العامة مسلم بن عقبة المزني، المستبيح لحرم رسول الله ﷺ انتهى[2].

والقصة أشهر من أن تذكر.

قال القرطبي في التذكرة[3]: وأما أمره ﷺ أبا ذر بلزوم البيت وتسليم النفس للقتل، فقالت طائفة: ذلك عند جميع الفتن، وغير جائز لمسلم النهوض في شيء منها، قالوا: وعليه أن يستسلم للقتل إذا أريدت نفسه ولا يدفع عنها، وحملوا الأحاديث على ظاهرها، وربما احتجوا من جهة النظر بأن قالوا: إن كل فريق من المقتتلين في الفتنة فإنه يقاتل على تأويل، وإن كان في الحقيقة خطأ فهو عند نفسه محق وغير جائز لأحد قتله، وسبيله سبيل حاكم من المسلمين يقضي بقضاء مما اختلف فيه العلماء على ما يراه صواباً، فغير جائز لغيره من الحكام نقضه، إذا لم يخالف بقضائه ذلك كتاباً ولا سنة ولا جماعة، وكذلك المقتتلون في الفتنة؛ كل حزب منهم عند نفسه محق دون غيره بما يدعون من التأويل، فغير جائز لأحد قتالهم وإن هم قصدوا لقتله، فغير جائز دفعهم، وهذا هو الصحيح من القولين –إن شاء الله تعالى– انتهى.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: « إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها

---

(١) (١٠١/٤).

(٢) انظر عون المعبود (٢٣٠/١١).

(٣) (٦٥٦-٦٥٧).

خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فكسروا قسيكم، وقطعوا أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دخل على أحد منكم فليكن كخير ابني آدم » أخرجه أبو داود والترمذي(١).

وزاد أبو داود(٢) بعد الساعي: « قالوا: فما تأمرنا؟ قال: كونوا أحلاس بيوتكم».

قال القرطبي في التذكرة(٣): حض على ملازمة البيوت والقعود فيها حتى يسلم من الناس، ويسلموا منه.

وقد تكون العزلة في غير البيوت كالبادية والكهوف.

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ﴾ [الكهف:١٠]، ودخل سلمة بن الأكوع على الحجاج وكان قد خرج إلى الربذة حين قتل عثمان، وتزوج امرأة هناك وولدت له أولاداً، فلم يزل بها حتى إذا كان قبل أن يموت بليال نزل المدينة، وما زال الناس يعتزلون ويخالطون كل واحد منهم على ما يعلم من نفسه ويأتي له من أمره.

وعن ابن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فكانوا هكذا – وشبك بين أصابعه – قال: فبم تأمرني؟ قال: عليك بما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك، وإياك وعوامهم » وفي رواية: « الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع أمر العامة » رواه الترمذي وصححه(٤).

وعن المقداد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر » أخرجه أبو داود(٥).

وعن [أبي هريرة](٦) قال : قال رسول الله ﷺ: « ويل للعرب من شر قد اقترب، أفلح من كف يده » أخرجه أبو داود(١).

---

(١) أبو داود (٤/١٠٠) وروى الترمذي (٤/٤٩٠) شطره الأخير (كسروا) .

(٢) (٤/١٠١).

(٣) (٦٣٠) .

(٤) لم يروه الترمذي والحديث عزاه القرطبي في التذكرة للنسائي (٦/٥٩) والمؤلف ينقل عنه .

(٥) (٤/١٠٢).

(٦) الأصل عن ابن عباس والتصويب من السنن .

وهذه الأحاديث يستفاد منها حكم الفتن، وماذا يفعل المسلم فيها؟.

وعن عرفجة قال: قال رسول الله ﷺ: « ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان » وفي رواية: « فاقتلوه » أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي[٢].

والهنات: جمع هنة، وهي الخصلة من الشر دون الخير.

وعن معاوية قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: « ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة » أخرجه أبو داود[٣].

وفي رواية: « سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله »[٤].

والتجاري: تفاعل من الجري، وهو الوقوع في الأهواء الفاسدة، والبدع المضلة، والتداعي فيها تشبيهاً بجري الفرس. والكلَب – بتحريك اللام – داء معروف يعرض للكلْب إذا عض إنساناً عرضت له أعراض ردية وأمراض فاسدة قاتلة، فإذا تجارى بالإنسان وتمادى هلك.

وعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إذا كان منهم من أتى أمه علانية ليكونن في أمتي من يصنع ذلك » أخرجه الترمذي[٥] بطوله.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلتحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وأنه سيكون

---

(١) (٤/٩٧).

(٢) مسلم (٣/١٤٧٩) وأبو داود (٤/٢٤٢) والنسائي (٧/٩٣).

(٣) (٤/١٩٨).

(٤) أبو داود (٤/١٩٨).

(٥) (٥/٢٦).

في أمتي ثلاثون كذاباً كلهم يدعي أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك)).

قال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث.

أخرجه مسلم(١) وأبو داود والترمذي مفرقاً، وأخرجه رزين بهذا اللفظ(٢)، وقد وقع كما أخبر، فهذا علم من أعلام النبوة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (([والذي نفسي بيده] ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا المقتول في أي شيء قتل، قيل: وكيف ذلك؟ قال: الهرج القاتل والمقتول في النار)) أخرجه مسلم(٣).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق)) أخرجه أبو داود(٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا مشت أمتي المطيطاء، وخدمتها أبناء الملوك وفارس والروم؛ سلط شرارها على خيارها)) أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب(٥).

والمطيطاء: المشي بتبختر، وهي مشية المتكبرين المتجبرين.

وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما أدع بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)) أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه(٦).

وفي الباب أحاديث صحيحة في الصحيح وغيره.

وعن كعب بن عياض رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال)) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب(١).

---

(١) روى مسلم بعض فقراته .

(٢) قلت : وهو عند أبي داود (٩٧/٤) بهذا اللفظ .

(٣) مسلم (٢٢٣١/٤).

(٤) (٢١٧/٤) ورواه مسلم أيضاً (٧٤٥/٢).

(٥) (٥٢٦/٤).

(٦) البخاري (١٩٥٩/٥) ومسلم (٢٠٩٨/٤) وابن ماجه (١٣٢٥/٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « من سكن البادية فقد جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن » أخرجه الترمذي[٢].

وقال: وفي الباب عن أبي هريرة: وهذا حديث حسن غريب.

قال القرطبي[٣] : حذر الله سبحانه عباده فتنة المال والنساء في كتابه، وعلى لسان نبيه فقال عزَّ مِنْ قائل: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُواً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:١٤]، وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥]، وما كان عاصماً من فتنة المال والولد فهو عاصم من كل الفتن والأهواء، وهو الوقاية من شح النفس والإقراض لله تعالى انتهى.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، فتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً، فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه وهذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس بما يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » أخرجه مسلم والنسائي والحديث طويل[٤].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر، وعرفت أن الخير لن يسبقني، قال: قلت: يا رسول الله، بعد هذا الخير شر؟ قال: « يا حذيفة، تعلم كتاب الله واتبع ما فيه — ثلاث مرات –، قال: فقلت: يا رسول الله، بعد هذا الخير شر؟ قال: فتنة وشر، قلت: يا رسول الله، بعد هذا الشر خير؟، قال: يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه، ثلاث مرات، قلت: يا

---

(١) (٥٦٩/٤).

(٢) (٥٢٣/٤) ورواه أبو داود (١١١/٣).

(٣) (٦٦٣).

(٤) مسلم (١٤٧٢/٣) والنسائي (١٥٣/٧).

رسول الله بعد هذا الشر خير؟، قال: هدنة على دخن، وجماعة على أقذاء فيهم أو فيها، قلت: يا رسول الله الهدنة على الدخن ما هي؟ قال: لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه، قال: قلت: يا رسول الله بعد هذا الخير شر؟ قال: يا حذيفة تعلم كتاب الله، واتبع ما فيه ثلاث مرات، قال: قلت: يا رسول الله بعد هذا الخير شر؟ قال: فتنة عمياء صماء، عليها دعاة على أبواب النار، فإن مت يا حذيفة، وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحداً منهم » رواه أبو داود[1] وأورده القرطبي في (باب الأمر بتعلم كتاب الله واتباع ما فيه عند غلبة الفتن وظهورها)[2].

أقول: ويدخل في تعلم الكتاب السنة واتباع ما فيها؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:٧].

وعن يحيى بن سعيد[3] أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول: « اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت في الناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون » أخرجه مالك[4]، قال ابن وهب: وحدثني مالك قال: كان أبو هريرة يلقى الرجل فيقول له: مت إن استطعت، فيقول: لمَ؟، قال: تموت وأنت تدري على ما تموت خير لك من أن تموت وأنت لا تدري على ما تموت عليه » قال مالك: ولا أرى عمر دعا ما دعا به من الشهادة إلا خاف التحول من الفتن[5].

وعن أبي البختري، قال: حدثني من سمع النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم » أخرجه أبو داود[6].

---

(١) (٩٦/٤).

(٢) (٦٣٣).

(٣) في سائر روايات الموطأ (عن مالك أنه بلغه) ووقع في رواية عبد الله بن يوسف كما ذكره المصنف وانظر التمهيد (٣٢١/٢٤) والحديث وصله الترمذي (٣٦٦/٥) وغيره .

(٤) بلاغاً (٢١٨/١).

(٥) التذكرة (٦٥٩).

(٦) (١٢٥/٤).

وعن سلمة بن الأكوع قال: قال رسول الله ﷺ: ((من سل علينا السيف فليس منا)) أخرجه مسلم[١].

وعن ابن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: ((من شهر سيفه ثم وضعه فدمه هدر)) أخرجه النسائي[٢].

الهدر: الذي لا يطلب بثأره.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار)) أخرجه الشيخان، والترمذي[٣].

والنزغ: الفساد.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)) أخرجه الخمسة إلا أبا داود[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض)) أخرجه الترمذي[٥]، ورواه أبو داود والنسائي والبخاري عن ابن عمر[٦].

ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنما الناس كالإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة)) متفق عليه[٧].

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ((لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!)) أخرجه الشيخان[١].

---

(١) (٩٨/١).

(٢) (١١٧/٧).

(٣) البخاري (٢٥٩٢/٦) ومسلم (٢٠٢٠/٤) ولم أره في الترمذي.

(٤) البخاري (٢٧/١) ومسلم (٨١/١) والنسائي (١٢١/٧) والترمذي (٣٥٣/٤) وابن ماجه (١٢٩٩/٢).

(٥) الترمذي (٤٨٦/٤) وعزوه للترمذي قصور فقد رواه البخاري(٦١٩/٢) من حديث ابن عباس.

(٦) البخاري (١٥٩٨/٤) وأبو داود (٢٢١/٤) والنسائي (١٢٦/٧) قلت: والحديث رواه مسلم أيضاً من حديث ابن عمر (٨٢/١) ورواه البخاري (٥٦/١) ومسلم (٨١/١) أيضاً من حديث جرير.

(٧) البخاري (٢٣٨٣/٥) ومسلم (١٩٧٣/٤).

وعن مرداس الأسلمي قال: قال النبي ﷺ: « يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة » رواه البخاري[٢]. أي: لا يقيم الله لهم قدراً ولا وزناً.

وقد وقع من قتل الأئمة فيما مضى ما وقع، ووقع في هذا الزمان قتل السلطان عبد العزيز خان بالسم، بعد العزل والحبس، وهو أصح الروايات عند النقاد، والله أعلم.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع » رواه الترمذي والبيهقي في دلائل النبوة[٣].

وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: « توشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: من قلة نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: الوهن حب الدنيا وكراهية الموت » رواه أبو داود والبيهقي في الدلائل[٤].

قلت: وقد كادت مجريات الاستنبول التي وقعت في هذا العام تكون من جنس ما يصدق عليه هذا الحديث، فإن جموع النصارى وأممهم على اختلاف أقطارهم وأحوالهم قد تداعت اليوم على أرض الروم واستعدوا على حرب السلطان عبد الحميد خان من جميع الجهات، والله سبحانه مؤيد الإسلام والمسلمين، ومبدد شمل الفئة الكافرين.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل » رواه أبو داود[٥].

وعن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه

---

(١) البخاري (٢٦٦٩/٦) ومسلم (٢٠٥٤/٤).

(٢) البخاري (٢٣٦٤/٥).

(٣) الترمذي (٤٩٣/٤) والبيهقي في الدلائل (٣٩٢/٦).

(٤) أبو داود (١١١/٤) والبيهقي في الدلائل (٥٣٤/٦).

(٥) (١٠٥/٤).

نكتة بيضاء، حتى يصير على قلبين أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه » رواه مسلم[١].

قال في «الحجة»[٢]: الهواجس النفسانية والشيطانية تنبعث في القلوب والأعمال الفاسدة تكتنفها، ولا تكون حينئذ دعوة حثيثة إلى الحق فلا ينكرها إلا من جهل في قلبه هيئة مضادة للفتن، وتعم سوى ذلك وتأخذ بتلابيبه. انتهى.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال حذيفة: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع الأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع » رواه مسلم[٣].

وعن أم مالك البهزية قالت: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها، قلت: يا رسول الله من خير الناس فيها؟ قال: « رجل في ماشية يؤدي حقها ويعبد ربه، ورجل أخذ برأس فرسه يخيف العدو ويخيفونه » رواه الترمذي[٤].

وعن عبد الله بن عمر قال: كنا قعوداً عند النبي ﷺ فذكر الفتن فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس قال قائل: وما فتنة الأحلاس؟ قال: « هي هرب وحرب ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مني وليس مني، أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط

---

(١) (١٢٨/١).

(٢) حجة الله البالغة للدهلوي (٢١٢/٢).

(٣) (١٤٧٦/٣).

(٤) (٤٧٣/٤).

نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذلك فانتظروا الدجال من يومه أو غده » رواه أبو داود[1].

قال في «الحجة»[2]: أقول: يشبه — والله أعلم — أن تكون فتنة الأحلاس قتال أهل الشام عبد الله بن الزبير بعد هربه من المدينة، وفتنة السراء إما تغلب المختار وإفراطه في القتل والنهب يدعو ثأر أهل البت، فقوله: "يزعم أنه مني" معناه من حزب أهل البيت وناصريهم، "ثم اصطلحوا " على مروان وأولاده، أو خروج أبي مسلم الخراساني لبني العباس يزعم أنه يسعى في خلافة أهل البيت، ثم اصطلحوا على السفاح، والفتنة الدهيماء: تغلب الجنكزية على المسلمين ونهبهم بلاد الإسلام، انتهى.

وقال الخطابي[3]: إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس لدوامها وطول لبثها أو لسوادها وظلمتها والحرب: ذهاب الأهل والمال، الدخن: الدخان، وقوله: "ورك على ضلع"، مثل معناه: الأمر الذي لا يثبت ولا يستقيم، يريد أن هذا الرجل غير خليق للملك.

قال القرطبي في التذكرة[4]: دلت أحاديث هذا الباب على أن الصحابة رضي الله عنهم كان عندهم من علم الكوائن إلى يوم القيامة العلم الكثير، لكن لم يشيعوها، إذ ليست من أحاديث الأحكام، وما كان فيها شيء من ذلك حدثوا به، انتهى.

والفسطاط: الخيمة الكبيرة، والمراد به هنا: الفرقة المجتمعة المنحازة عن الفرق الأخرى، وتسمى مدينة مصر: الفسطاط.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه. أخرجه البخاري ومسلم[5].

---

(١) (٤/٩٤).

(٢) (٢/٢١٣).

(٣) انظر عون المعبود (١١/٢٠٨).

(٤) (٦٤١).

(٥) البخاري (٦/٢٤٣٥) ومسلم (٤/٢٢١٧).

هذا آخر الأحاديث الواردة في أبواب الفتن، وستأتي الإشارة إلى ما جاء من الملاحم وأشراط الساعة.

قال الشيخ العارف أحمد ولي الله المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى في كتابه «حجة الله البالغة»[1]: اعلم أن الفتن على أقسام:

١- فتنة الرجل في نفسه؛ بأن يقسو قلبه فلا يجد حلاوة الطاعة، ولا لذة المناجاة، وإنما الإنسان ثلاث شعب:

أ- قلب: هو مبدأ الأحوال، كالغضب والجرأة والحياء والمحبة والخوف والقبض والبسط ونحوها.

ب- وعقل: هو مبدأ العلوم التي تنتهي إليه الحواس، كالأحكام البديهية من التجربة والحدس ونحوهما، والنظرية من البرهان والخطابية ونحوهما.

ج- وطبع: وهو مبدأ اقتضاء النفس ما لا بد منه، أو لا بد من جنسه في بقاء البنية كالداعية المنبجسة في شهوة الطعام والشراب والنوم والجماع ونحوها، ثم فَصّل هذه الثلاث، قال: هذا ما عندي من معرفة لطائف الإنسان.

٢- وفتنة الرجل في أهله: وهي فساد تدبير المنزل، وإليه الإشارة في قوله ﷺ: « إن إبليس يضع عرشه على البحر، إلى أن قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت » أخرجه مسلم[2] عن جابر الله عنه.

٣- وفتنة تموج كموج البحر، وهي فساد تدبير المدينة، وطمع الناس في الخلافة من غير حق، وهو قوله ﷺ: « إن الشيطان قد آيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم »[3].

٤- وفتنة ملية: وهي أن يموت الحواريون من أصحاب النبي ﷺ، ويستند الأمر إلى غير أهله، فيتعمق رهبانهم وأحبارهم، ويتهاون ملوكهم وجهالهم، ولا يأمرون بمعروف

---

(١) (٢/٢١١).
(٢) (٤/٢١٦٧).
(٣) رواه مسلم (٤/٢١٦٦).

ولا ينهون عن منكر، فيصير الزمان زمان الجاهلية، وهو قوله ﷺ: ((ما من نبي إلا كان له حواريون))[1] الحديث.

٥- وفتنة مستطيرة وهي تغير الناس من الإنسانية ومقتضاها، فأزكاهم وأزهدهم إلى الانسلاخ من مقتضيات الطبع رأساً دون إصلاحها والتشبه بالمجردات، والتحنن إليهم بوجه من الوجوه، ونحو ذلك، وعامتهم إلى البهيمية الخاصة، ويكون ناس بين الفريقين، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

٦- وفتنة الوقائع الجوية، المنذرة بالإهلاك العام، كالطوفانات العظيمة من الوباء والخسف، والنار المنتشرة في الأقطار، ونحو ذلك، وقد بين النبي ﷺ ((أن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكاً عضوضاً، ثم كائن جبرية وعتواً وفساداً في الأرض، يستحلون الحرير والفروج والخمور، يرزقون على ذلك، وينصرون حتى يلقوا الله)). رواه البيهقي في شعب الإيمان[2] عن أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما.

وقال حذيفة رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، أيكون بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر؟ قال: ((نعم، قلت: فما العصمة؟ قال: السيف، قلت: وهل بعد السيف بقية؟ قال: نعم يكون أمارة على أقذاء، وهدنة على دخن، قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم ينشأ دعاة الضلال، فإن كان... في الأرض خليفة جلد ظهرك، وأخذ مالك فأطعه، وإلا فمت وأنت عاض على جذل شجرة)) رواه أبو داود[3] بطوله.

أقول: الفتنة التي تكون العصمة فيها السيف: ارتداد العرب في أيام أبي بكر رضي الله عنه، وأما "أمارة على أقذاء" فالمشاجرات التي وقعت في أيام عثمان وعلي رضي الله عنهما، و"هدنة على دخن" الصلح الذي وقع بين معاوية والحسن بن علي رضي الله عنهما، و"دعاة الضلال" يزيد بالشام، ومختار بالعراق، ونحو ذلك حتى استقر الأمر على عبد الملك.

---

(١) مسلم (١/ ٧٠).

(٢) (٥/ ١٧).

(٣) (٤/ ٩٥).

وبين النبي ﷺ أشراط الساعة: وهي ترجع إلى أنواع الفتن التي مر ذكرها وشيوعها وكثرتها، فإن التلف من القرف وإنما يجيء النقصان من حيث يجيء الهلاك، وشرح هذا يطول.

وقال ﷺ: ((تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً، قلت: أمما بقي، أم مما مضى؟ قال: مما مضى)) أخرجه أبو داود[١] عن ابن مسعود.

فمعنى قوله: "تدور رحى الإسلام" أي: يقوم أمر الإسلام بإقامة الحدود، والجهاد في هذه الأمة، وذلك صادق من ابتداء وقت الجهاد وأوائل الهجرة إلى مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه، والشك في خمسة وثلاثين وأخواتها؛ لأن الله تعالى أوحى إليه مجملاً.

وقوله: "فإن يهلكوا" بيان لصعوبة المر، وأن الأمر يصير إلى حالة لو نظر فيها الناظر يشك في هلاك الأمة وبطلان أمورهم.

وقوله: "سبعين عاماً" ابتداؤها من البعثة، وتمامها موت معاوية رضي الله عنه، وبعده قامت فتنة دعاة الضلال.

وقوله: "سبعين عاماً"، معناه: تهويل الأمر وأنه يكون تحت بطن الباطن فيه، وأنه لا يكون بعد هذا استقامة الأمر، والله أعلم.

وقال ﷺ: ((يقاتلكم قوم صغار الأعين – يعني الترك –، تسوقونهم ثلاث مرات))[٢] الحديث معناه: أن العرب يجاهدونهم ويغلبونهم فيصير ذلك سبباً لأحقاد وضغائن حتى يؤول الأمر إلى أن يذبوا العرب من بلادهم، ثم لا يقتصرون على ذلك، بل يدخلون بلاد العرب.

وهذا المراد من قوله: "حتى تلحقوهم بجزيرة العرب".

---

(١) (٩٨/٤).

(٢) أبو داود (١١٣/٤).

أما في السياقة الأولى فينجو من العرب من هرب من قتالهم بأن يفر من بين أيديهم، وذلك صادق بقتال الجنكيزية، فهلك العباسية الذين كانوا ببغداد، ونجا الذين فرو إلى مصر.

وأما في السياقة الثانية فينجو بعض ويهلك بعض، وذلك صادق بوطء تيمور ديار الشام وإهلاك أمر العباسية.

وأما في الثالثة فيصطلمون – أي يستأصلون –، وذلك صادق بغلبة العثمانية على جميع العمل والله أعلم، انتهى كلام «حجة الله البالغة»[1].

وجملة القول الحق في الباب أنه لا سلامة في الخلق من الآفات، وأن الإنسان قطب رحى الشرور، ومركز دوائرها التي تدور، قد جعله الله بين عدو وحاسد، وخؤون ومعاند، وحصره بي الجهات الست، وهو على ما فيه من إبداع الخلقة، وحسن التصوير، ليس له غير وجه واحد، ويمين وساعد، إن اتجه إلى البعض فاته الكل، وإن اكترث بالأكثر أضر به الأقل، فلا يزال بين سهم مخطئ ومصيب، ومورد آجن وشريب يتجرع المصائب تجرع من لم يجد مندوحة، ويتناسى ما قدم وإن أزهقت روحه.

على أنها تعفو الكلوم وإنما توكل بالأدنى وإن جل ما يمضي

فإذا تأملت – أعزك الله – فيما اتضح من هذه الدلائل تبين لك أن العالم أضداد، وكل بأحبولته صياد.

أما أحوال الآدميين فحيث كان عنصرهم من ماء وطين، كانوا إلى التكدير أقرب، وإلى داعي الفتن أجوب، وقد قيل: الناس ذئاب في ثياب نَعَمٍ، وأعداء في زي الأصحاب، شعارهم التملق، ودثارهم المكر. ومن تطلب منهم ضد ما جبلوا عليه من الدسائس الخبيثة، فكأنما تطلب من الماء جذوة نار.

وناهيك بما قيل: إن الظلم من شيم النفوس، وإن من لا يظلم الناس يظلم.

---

(١) (٢/٢١٤).

فإن كان لا سلامة من الخلق إلا بالظلم، ولا نجاة منهم إلا بالقهر والهضم، فمن أين جاءت السلامة؟ وكل يطالبها أمامه، فترى العاقل يعمل عقله في الحيل، والجاهل لا يألوا جهداً في إدراك الأمل، فإن قصر أحدهما عن غاية مرامه استعان بما يحاكيه في المقاصد، ويشابه في عمل المكايد، وحسب معينه خِلاًّ وفياً وحميماً حفياً.

وما علم أن الخِلّ قرين الغول، وأن العلة يشبهها المعلول، ولكن على العاقل أن يتردى بالفضائل، فيجعل الحكم أنيسه، والنظر في العواقب جليسه، ولا يغتر بالكذوب المحتال، ولا العدو المتضرع المختال.

واجعل الناس كشخص واحد　　　ثم كن من ذلك الشخص حذر

فمن اتصف بهذه الصفات هانت عليه من جنسه تلك الآفات، فيرى الظلمة سراجاً، والمضائق سبلاً فجاجاً، فيحمد الله تعالى على كل حال، ويسأله من فضله صفة الكمال، وكيف السبيل إلى السلامة يكون والمرء بين الضرتين: مسجون، وهو ما بين غابن ومغبون، وكلاهما إما على الدنيا مزاحم أو مقادح وإما عن الأخرى منعزل أو مكافح، فالحرص على الجمع بينهما لا يستطاع، بل لا يكون صاحبه بين الجميع بمطاع، والجمع بين هاتين الضرتين كالتوفيق بين الضدين، والصبر على مزاحمة أبناء الأولى وشر أضداد الأخرى من المنح الإلهية، والمواهب الرهبانية، فأيان تكون السلامة مع فقد المسالمة؟.

فابن الدنيا يطلب جمع كلها إليه، وابن الأخرى يحب أن لا يكون غيره من أمثاله مقدماً عليه، فإن تمسك المرء بدينه، سلقوه أبناء الدنيا بألسنتهم، وطعنوا في يقينه.

وإن مال معهم إلى الدنيا، أو آثرها عن الآخرة لقي زحاماً وازدحاماً، وتهاوشاً وتناوشاً وانتقاماً. فالمتأخر يرده إلى الخلف ليتقدم عليه، والمتقدم يطلب ما بيده ليوصله إليه.وكلاهما يتجنبه إن سقط، ويقول: ذا مجنون خلط، يدورون مع الدهر كيفما دار، ويطلبون من الشجر الثمار، ذو النعمة والغناء بينهم محسود، وذو النقمة والفقر من

حيهم مطرود. فبكلا الحالين لا خلاص، وبالنعمة والنقمة من شرهم لا مناص، إن تقرب المرء إليهم أضاع دينه، وإن تباعد عنهم قالوا: وسواس قد اعتراه.

فلا صديق إليه مشتكى حزني، ولا أنيس إليه منتهى جذلي، فالصديق منهم لا يفي، والخليل بالقليل لا يكتفي، والقريب في الشدة غريب، والغريب في الرخاء قريب، إن رأوا حسنة يكتموها، وإن بدت لهم سيئة أذاعوها.

وَقَارُ المرءِ عندهم بقدر ماله، وحرمته بزخرفة لسانه ودثاره، إنْ وافاهم ملوه، وإن اعتزل عنهم أنكروه،خلقاً ألفه الناس، وطبعاً رميت الخلق منه بسهام اليأس، فطالب السلامة من أبناء الدهر؛ كمسترجع الشباب بعد مشيب العمر.

لا جرم أن لمثير الدنيا الخيف معيناً من الدهر، وعلى طريق السلامة كمائن أبناء الدنيا ذات المكر فأين المفر والبعاد، والدنيا والدهر؟، وأبناؤهما لطالب السلامة في المرصاد.

إن لان لهم قطعوه، وإن غلظ تجنبوه، إن لطف مزقوه، وإن فظظ لاطفوه، إن حلى أذابوه، وإن مر تحاموه، إن نَعِمَ لمسوه، وإن خشن تركوه، إن تكرم أفقروه، وإن أمسك عابوه، إن تبسم استخفوه، وإن قطب استحوذوه، إن تواضع ذلوه وإن تكبر خافوه، إن قنع حرموه وإن طمع ركبوه، إن اتقى اتهموه، وإن ضل قربوه، إن حلم استبدلوه، وإن حمق داروه.

بقدر جهل المرء، وسوء أخلاقه، يحوز السلامة، وتكثر أنصاره.

ويقولون للبخيل: عاقل، وللحريص المتملق: كامل فاضل، ترك الدين والأخلاق الإنسانية عندهم من التمدن، والحمق والعجلة من الحمية والفتن.

فالسعيد من غلب عقله النفيس؛ شيطان نفسه التعيس، ومحا بنور الرشد دجى الأغلاس، وطفئ بفجر العقل مصابيح الوسواس، واستعان من الإخلاص بجر شعاع شموسه على بخار النفس فأقره في وطيسه، واستخلص أذيال السلامة من يدي الضلال، فتعلق بسلم الهداية إلى سماء الوصال، راكباً مطايا الزهد والقناعة، ومتزوداً بسويق التواضع والطاعة، قطع الآمال من المخلوقات دليله، وترك ما في أيديهم ظهيره وخليله، مُصماً سمعه عن نداء من يناديه ليرده إلى الضلال الذي هو فيه، قامعاً

للشهوات بخير الزاد لأوقات الرحيل، منفصلاً عن الدنيا وأولادها بلا قال وقيل، لا يلوي لزخارفها وما يدعون، ولكذبهم بودادهم وما يقولون، لا سيما حينما يرونه قد استغنى عنهم، وصده العقل عن التقرب منهم.

تطالبهم النفس الأمارة بالشر لإرجاعه إليهم؛ ليبعدوه عن الخير، فتراهم خلفه يركضون، ولقطع الطريق عليه من كل حَدَبٍ ينسلون، فهيهات هيهات أن ينجو منهم الهارب، وكل منهم بخيله راكض وله طالب.

فالفوز إذ ذاك بالسلامة والأمان من نعم الرحيم الرحمن؛ فمختار النجاة والنصر المديد؛ يلتمس العناية من المؤيد المجيد:

ولقى البحور منافع لا تنتهي وأرى السلامة في لزوم الساحل

هذا ما حرره بعض أدباء تونس في مقالاته، وذكره مدير الجوائب في جرنالاته، وكل ذلك من أبواب الفتن التي تقع في آخر الزمن، وما العصمة إلا بالله ذوي الجود والمنن.

دع الخلق لا تبغي السلامة منهم فما هي إلا الشهد عند الأراقم

ودونك تقوى الله إن كنت عاقلاً فإن بها كل الغنى والغنائم

باب في الفتن التي ظهرت وانقرضت

وهي كثيرة لا تكاد تنحصر في هذا المختصر:

منها موت النبي ﷺ، وهو من أعظم المصائب في الدين، وأكبر الدواهي للمؤمنين.

عن عطاء بن أبي رباح عن النبي ﷺ: « إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنها أعظم المصائب » أخرجه ابن سعد[١].

وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليها وسلم قال: « من أصيب منكم بمصيبة، فإنه لن يصاب أحد من أمتي من بعدي بمثل مصيبته بي » رواه الطبراني في الأوسط[٢].

وفي سنن ابن ماجه[٣] أنه ﷺ قال في مرضه: « أيها الناس، إنْ أحد من الناس، أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليعز بمصيبتي في عين المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي ».

وهو أول فتح باب الاختلاف حيث قالوا: منا ومنكم أمير[٤].

وفي حديث عوف بن مالك الطويل يرفعه قال: « اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي ثم فتح بيت المقدس »[٥]. وفي الباب أحاديث.

وفي الصحيح[٦]: "ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا.

وتوفي ﷺ يوم الاثنين بلا خلاف، نصف النهار لاثنتي عشرة ليلة خلت من الربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، في مثل الوقت الذي دخل فيه، ودفن يوم

---

(١) (٢٧٤/٢) قلت: هذا الحديث وما بعده من أحاديث مفرداتها لا تخلو من ضعف لكن لها شواهد تصح بها انظر الصحيحة لشيخنا – رحمه الله – (١١٠٦).

(٢) (٣٦٥/٤).

(٣) (٥١٠/١).

(٤) رواه البخاري (١٣٤١/٣).

(٥) رواه البخاري (١١٥٩/٣).

(٦) رواه الترمذي (٥٨٨/٥).

الثلاثاء كما في الموطأ والترمذي[1] في ليلتها في مكانه الذي توفي فيه، أي ليلة الأربعاء، قاله محمد بن إسحاق[2].

ولما توفي طاشت عقول الصحابة وأفحموا واختلطوا. فمنهم من خَبل، ومنهم من صمت، ومنهم من قعد إلى الأرض، كما روي عن غير واحد منهم.

وعن أنس: " ما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات رسول الله ﷺ" رواه الدارمي[3].

وفي رواية الترمذي[4]: "فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء".

وفي البخاري[5]: "لما دفن جاءت فاطمة رضي الله عنها فقالت: "كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟!".

قال قائلهم:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فإنها ... نوب تنوب اليوم تكشف في غد
وإذا أصبت مصيبة تشجى بها ... فاجبر مصابك بالنبي محمد

وقال آخر:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا ... فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها إن المنايا سبيلنا ... فمن لم يمت في يومه مات في غد

---

(١) رواه مالك بلاغاً ووصله الترمذي وغيره وإسناده ضعيف وقد رده غير واحد من أهل العلم.

(٢) وهو الصواب وموافق لما صح عن عائشة .

(٣) (٥٤/١).

(٤) (٥٨٨/٥).

(٥) (١٦١٩/٤).

ورثاه ﷺ أبو سفيان بن أبي الحارث بن عبد المطلب ابن عمه ﷺ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، ورثته عمته صفية بمراثي كثيرة، وفاطمة، وعلي، وجماعة من الصحابة، قال حسان:

كنت السواد لناظري	فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت	فعليك كنت أحاذر

ومنها قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال — وعثمان محصور -: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ستكون فتنة واختلاف، قلنا فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالأمير وأصحابه، وأشار إلى عثمان » رواه الحاكم وصححه والبيهقي[1]، وفي الباب أحاديث عند الحاكم وصححها، وابن عدي وابن عساكر.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: "أول الفتن قتل عثمان، وآخرها خروج الدابة".

وسبب قتله ذكره الحافظ في «الفتح»، والسيد محمد الشهروزي في «الإشاعة لأشراط الساعة»[2].

قال القرطبي في تذكرته[3]: وقد قيل: إن الصحيح في مقتله رضي الله عنه أنه لم يتعين له قاتل معين، بل أخلاط من الناس وهمج رعاع جاءوا من مصر، ومن غير مصر.

قال الزبير بن بكار : حاصروه شهرين وعشرين يوماً، وقال الواقدي : تسعة وأربعين يوماً .

واختلف في سنه حين قتله، مَنْ قتله من الفجار - أدخله الله بحبوحة النار - فقيل: قتل: وهو ابن ثمان وثمانين سنة. وقيل: ابن تسعين سنة. وقال قتادة: ابن ست وثمانين، وقيل غير هذا.

---

(١) الحاكم (١٠٥/٣).

(٢) وهو البرزنجي المتوفى سنة ١١٠٣هـ وكتابه مطبوع.

(٣) (٦١٦).

وقُتل مظلوماً، كما شهد له بذلك رسول الله ﷺ، وجماعة أهل السنة، وقتل يوم الجمعة لثمان ليالٍ خلون من ذي الحجة يوم التروية سنة خمس وثلاثين، قاله الواقدي. وقيل: لليلتين بقيتا من ذي الحجة، وكانت خلافته إحدى عشرة سنة إلا أياماً، اختلف فيها.

وقيل: إن المتعصبين على عثمان من المصريين، ومن تابعهم من البلدان كانوا أربعة آلاف، والمدينة يومئذ أربعون ألفاً، وكان ذلك من المعجزات التي أخبر بوقوعها بعد موته ﷺ، وما قال رسول الله ﷺ شيئاً قط إلا كان.

قال حسان:

قتلتم ولي الله في جوف داره	وجئتم بأمر جائر غير مهتد
فلا ظفرت أيمان قوم تعاونوا	على قتل عثمان الرشيد المسدد

ومنها وقعة الجمل:

عن عليّ وطلحة أن رسول الله ﷺ قال للزبير: « أتحب علياً؟ قال: نعم، قال: إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت له ظالم » رواه الحاكم[1].

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال لها: «كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب » رواه أحمد والحاكم[2].

وفي الباب روايات عند ابن أبي شيبة، والطبراني، ونعيم بن حماد، والبيهقي وغيرهم، على ضعف وحسن فيها، وقد جمع عمر بن شبة في كتاب «أخبار البصرة» قصة الجمل مطولة، ولخصها الحافظ في «الفتح»، واقتصر على ما ورد بسند صحيح أو حسن، وذكر حاصله مختصراً في «الإشاعة»، وهي في تذكرة القرطبي أيضاً بأسانيد صحيحة جيدة.

وقتل فيه من أصحاب عليّ نحو من ألف رجل، وقيل: أقل.

---

(١) (٤١٣/٣).

(٢) أحمد (٥٢/٦و٩٧) والحاكم (١٢٩/٣).

وكان قتالهم من ارتفاع النهار يوم الخميس إلى قريب العصر لعشر ليال خلت من جمادى الآخرة سنة ستة وثلاثين، وهذا من أعلام نبوته ﷺ، وهو إخباره بالشيء قبل كونه.

قال القاضي أبو بكر العربي: ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى إلى إثارة فتنة، أو تشتت الكلمة، وكذلك جرى لطلحة والزبير، فإنهما ما خلعا علياً من ولاية، ولا اعترضا عليه في ديانة وإنما رأوا أن البداية بقتل أصحاب عثمان أولى، انتهى.

ومنها وقعة صفين: وقد صح: « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة »[1] وبَيَّن سببها بالاختصار في «الإشاعة».

وفي الباب روايات عند الطبراني وابن عساكر وغيرهما.

وكان مقام عليّ ومعاوية بصفين سبعة أشهر، وقيل: تسعة، وقيل: ثلاثة أشهر، وذلك في سنة سبع وثلاثين، قاله الإمام أحمد في تاريخه.

وكان أهل الشام خمسة وثلاثين ومائة ألف، وكان أهل العراق عشرين أو ثلاثين ومائة ألف، ذكره الزبير ابن بكار.

قال الحافظ ابن دحية: والإجماع منعقد على أن طائفة الإمام طائفة عدل، والأخرى بغي، ومعلوم أن علياً كان الإمام، انتهى.

قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب « الاستيعاب »: وتواترت الأخبار عن النبي ﷺ، أنه قال: « يقتل عماراً الفئة الباغية »[2] وهو من أصح الأحاديث، انتهى.

وأجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريق الحديث والرأي، منهم: مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي، والجمهور الأعظم من المتكلمين، على أن علياً مصيب في قتاله لأهل صفين، كما قالوا بإصابته في قتل أصحاب الجمل.

وقالوا أيضاً: بأن الذين قاتلوه، بغاة ظالمون له. ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم.

---

(١) البخاري (٦٢٦٠٥) ومسلم (٢٢١٤/٤).

(٢) رواه مسلم (٢٢٣٦/٤) من حديث أم سلمة ورواه البخاري (١٧٢/١) ومسلم (٢٢٣٦/٤) بلفظ: ويح عمار تقتله الفئة الباغية .

وقال الإمام أبو منصور التميمي البغدادي في كتاب « الفرق في بيان عقيدة أهل السنة» مثله.

وكذا الإمام أبو المعالي في كتاب « الإرشاد » والحافظ أبو الخطاب بن دحية وغيرهما، والله أعلم[١].

ومنها وقعة النهروان، وهي محاربة عليّ مع الخوارج، وفيها روايات عند ابن جرير وغيره عن عليّ، وأبي سعيد، وأبي ذر رضي الله عنهم، وفيها الأمر بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين، والأحاديث في الخوارج كثيرة جداً في الصحيحين وغيرهما لا تكاد تنحصر.

وذكر في «الإشاعة»[٢] سببها بالاختصار: ومن بقايا هؤلاء القرامطة ومنهم[٣] الباطنية والإسماعيلية وفتنتهم مشهورة، أهلكوا العباد، وأفسدوا البلاد، والقوم الذين الآن في بلاد الهند، ويقال لهم "بوهرة" هم تلك الإسماعيلية.

ومنها نزول أمير المؤمنين وسيد المسلمين وخاتمة الخلفاء الراشدين، الحسن بن علي لمعاوية، وقد تقدم حديثه في المقدمة، وهو الذي أصلح بين فئتين من المسلمين، وظهر بذلك مصداق ما أخبر به سيد المرسلين ﷺ، وشهد جماعة من الصحابة أنهم سمعوا ذلك من النبي ﷺ.

وفي الباب روايات في كتب السنة وغيرها، وسببه مذكور في «الإشاعة» وغيرها.

ومنها ملك بني أمية يزيد بن معاوية، ومن بعده المشتمل على الفتن العظام كقطع الليل المظلم.

وفيه روايات لا تكاد تحصر، وحكايات تقشعر منها جلود الذين يخشون ربهم[٤].

وسببه مشهور مذكور في كتب السير، و «الإشاعة في أشراط الساعة» و «التذكرة» للقرطبي.

---

(١) ساق ذلك كله القرطبي في التذكرة (٦٢٥-٦٢٧).

(٢) (ص ٢١).

(٣) في الإشاعة ((وهم)).

(٤) وأغلب هذه الروايات دخلت فيها الأهواء ولاكتها ألسنة الأعداء ولا يثبت لها قدم ولا ساق في ميزان النقد.

ومنها قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، بعد ما سُمَّ الحسن رضي الله عنه.
وقد أخبر به النبي ﷺ، فكان ذلك علماً من أعلام النبوة.
وقد ألف فيه جماعة من أهل العلم قديماً وحديثاً، منها كتاب «سر الشهادتين» للشيخ عبد العزيز بن ولي الله المحدث الدهلوي، وهو أحسن مجموع جمع فيه، وقد قتل معه من أهل بيته وعشائره تسعة عشر رجلاً، وقيل: ثلاثة وعشرون.
ولله در القائل:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

قال القرطبي[1]: قتل رحمه الله – ولا رحم قاتله – يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وستين بكربلاء بقرب موضع يقال له "الطف"، بقرب من الكوفة، انتهى.
ومنها وقعة "الحرة" وما جرى فيها من المحن.
وفيها أحاديث في الصحاح وغيرها، وقد تقدم بعض منها في المقدمة وذكر سببها في « الإشاعة » ، وكان قتل الحسين، ووقعة الحرة، ورمي الكعبة بالمنجنيق، واستباحة حرم المدينة، وخراب مسجده صلى الله عليه وآله وسلم من الشنائع التي وقعت في زمن يزيد.
ومنها قتل ابن الزبير رضي الله عنه، وهو أنه لما مات معاوية بن يزيد بايع أهل الآفاق كلهم لابن الزبير، ولم يتخلف عن بيعته إلا بنو أمية، ومن يهوى هواهم، ثم جهز إليه عبدُ الملك الحجاجَ بن يوسف الثقفي فحاصره في سنة اثنتين وسبعين إلى أن قتل ابن الزبير في جمادى الأولى سنة ثلاثة وسبعين.
وكان مجموع مدته تسع سنين وشيء، ثم اجتمع الناسُ على عبد الملك، ثم ابنه الوليد، ثم ابنه الآخر سليمان ثم عمر بن عبد العزيز، ثم ابنه الآخر يزيد، ثم ابنه الآخر هشام فهؤلاء كلهم أولاد عبد الملك بن مروان إلا عمر فإنه ابن أخيه، ثم بعد هشام تولى ابن

---

(١) (٦٤٤).

أخيه الوليد بن يزيد، فقام عليه ابن عمه يزيد بن الوليد فقتله، وقام عليه مروان الحمار بن محمد بن مروان، ولما مات ولي أخوه إبراهيم فغلبه مروان واختل أمرهم حتى غلب على الملك بنو العباس وقتلوهم أشد القتلة[1]، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

ومنها خراب المدينة بعد الحرة، وفيه أخبار عن جمع من الصحابة عند ابن أبي شيبة، وأحمد برجال الصحيح، وأقوال لأهل العلم، كالقاضي عياض والنووي وغيرهما.

ومنها هدم الكعبة، وتولية الحجاج[2]، وهو من الفتن الواقعة في زمن بني مروان، فإنه قتل مائة وعشرين ألفاً وأربعة آلاف نفس صبراً غير ما قتله في المحاربات، ولا شك أنه سيئة من سيئات عبد الملك الشقي، فإنه كان أميراً على العراق، وعلى الحجاز.

ومنها قتل زيد بن عليّ بن الحسين وصلبه وحرقه بالنار، وقتل ولده يحيى في زمنهم، وطريق السلامة والورع السكوت عنهم والاشتغال بعيوب نفسه.

ومنها دولة بني العباس، وما جرى في أيامهم من المحن والبأس.

وفيها أخبار جمة عند أبي نعيم في ((الحلية)) والطبراني والسهروردي وغيرهم.

ومنها قتال أهل المدينة، وقتل محمد النفس الزكية بن عبد الله المحصن بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، وقتل أخيه إبراهيم وقتل جماعة كثيرة من العلويين وحبس الإمام جعفر الصادق في زمن المنصور، وموت الإمام الكاظم في الحبس في زمن الرشيد، وإدخال الفلسفة وعلوم كفار اليونان في الإسلام ونصرة الاعتزال في زمن المأمون.

وقتل كثير من العلماء وتكليفهم القول بخلق القرآن، وضرب الإمام أحمد بن حنبل في زمنه وزمن المعتصم والواثق وغيرهم، ولم تتفق الكلمة في زمنهم، ولم تصف لهم الخلافة، وكان أول من رجع منهم عن الاعتزال ونصر السنة "المتوكل".

وانتقل إلى مذهب الشافعي، وعين من بيت المال اثني عشر ألفاً لنشر حديث رسول الله ﷺ.

---

(١) في الإشاعة : ((أشد قتلة)).

(٢) أكثر الناس فيه وأعدل ما رأيت فيه قول الذهبي في السير : (٣٤٣/٤) : (فنسبه ولا نحبه بل نبغضه في الله فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه وأمره إلى الله وله توحيد في الجملة ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء).

ثم لم يزالوا في التناقص إلى أن بقي لهم في الخلافة مجرد الاسم، وغلب آل سلجوق على معظم البلاد فكان آخرهم بالعراق، المستعصم، الذي قتله التتار، ثم انتقلوا إلى مصر.

وكان زمانهم مشحوناً بالعلماء، في كل فن من التفسير والحديث، والنحو، واللغة، والقراءة، والفقه، والكلام، والتاريخ، والأدب، وغير ذلك حتى إن زمان الرشيد، كان يسمى "عروس الدهر".

ومنها فتنة الفاطمية[1]، واستيلاؤهم على المغرب ومصر نحواً من ثلاث مائة سنة وإظهار الرفض، ونصرهم مذهب الباطنية، وإلحادهم في الدين، وكان ذلك في سنة ثمان وثلاث مائة.

وكان نفيهم على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب "الملك الناصر"، في سنة أربع وستين وأربعمائة، فرحم الله روحه، وجزاه عن الإسلام خيراً، وأخبار هؤلاء الأشقياء النتنى مذكورة في ((حسن المحاضرة)) للسيوطي، وفي ((السكردان)) لابن حجلة وغيرهما من كتب السير، وذكر طرفاً من ذلك في ((الإشاعة)) وتولوا قريباً من مائتي سنة أيضاً، إلى سنة ثمان وأربعين وستمائة آخرهم "تورانشاه".

وتولوا أولئك أيضاً إلى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، ثم استولى على الأمر أتباعهم الجراكسة إلى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة، ثم غلبهم ملوك بني عثمان إلى يومنا هذا[2].

ومنهم سلطان الوقت " محمد بن عبد الحميد خان" أعانه الله تعالى على كفرة الروس الناصبين الحرب في هذا الحين لقبض الملك، وقتل النفوس، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

ومنها فتنة القرامطة واستهانتهم بالدين واستحلالهم الحرم.

---

(١) وهم قوم ادعوا زوراً وبهتاناً الانتساب إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصواب أمرهم أنهم طائفة من اليهود تستروا بأهل البيت ظلماً وعدواناً .

(٢) ثم انتهت دولة بني عثمان بعدما شاخت وكبرت حيث تم القضاء على الخلافة الإسلامية وأصبحت بلاد الإسلام لقمة سائغة في أيدي الكفار فالله المستعان وله الأمر من قبل ومن بعد.

وقد بين أحوالهم المقريزي في «الخطط والآثار» وذكر عقائدهم وفساد طويتهم بما لم يسبق إليه.

ومنها قتال الترك وفتنتهم، وهم التتار، وقد أخبر به النبي ﷺ في أحاديث صحيحة حسنة، قد تقدم بعض منها في المقدمة.

وفي أخبار هؤلاء الأقوام كتب مستقلة.

قال النووي[1]: هذه الأحاديث كلها معجزة لرسول الله ﷺ فقد عرف حال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها النبي ﷺ، وقاتلهم المسلمون مرات، انتهى.

وقال السخاوي في «القناعة»: ومن المرات التي قاتل المسلمون الترك في دولة بني أمية، وكان ما بينهم وبين المسلمين مسدوداً إلى أن فتح ذلك شيئاً بعد شيء وكثر السبي منهم؛ لما فيهم من الشدة والبأس، حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم، ثم غلبت الأتراك على الملك، فقتلوا ابنه المتوكل ثم أولاده واحداً بعد واحد إلى أن خالط المملكة الديلم، ثم كان الملوك الساسانية من الترك أيضاً فملكوا بلاد العجم، ثم غلب على تلك الممالك "آل سبكتكين" ثم آل سلجوق، وامتدت مملكتهم إلى العراق والشام، والروم وكانت بقايا أتباعهم بالشام وهم "آل زنكي" وأتباع هؤلاء وهم بيت أيوب واستكثر هؤلاء من الترك، فغلبوهم بالديار المصرية والشامية والحجازية. وخرج على آل سلجوق في المائة الخامسة الغز، فخربوا البلاد وفتكوا بالعباد. ثم جاءت الطامة الكبرى بالتتار بعد الستمائة، فكان خروج جنكيزخان، واستعرت الدنيا بهم ناراً، لا سيما المشرق بأسره حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرهم، ثم كان خراب بغداد، وقتل الخليفة المستعصم على أيديهم في سنة ست وخمسين وستمائة، وهو آخر الخلفاء العباسية ببغداد، الذي رثاه جمع العلماء الأمجاد منهم الشيخ "مصلح الدين السعدي الشيرازي"، بالكلمة العربية والقصيدة الفارسية.

قال التاج السبكي[2]: لم تكن منذ خلق الله الدنيا فتنة أكبر من فتنة التتار.

---

(١) في شرح صحيح مسلم (١٨/ ٣٧).

(٢) في طبقاته.

وقال السخاوي: ثم لم يزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان آخرهم "تيمور" الأعرج، وطالت مدته إلى أن مات وتفرق بنوه في البلاد، انتهى.

وكانت ملوك الهند أيضاً من أولاده حتى انقرضوا في زماننا هذا.

وفي أحواله كتاب لعرب شاه سماه «عجائب المقدور في أحوال تيمور»، وظهر بجميع ذلك مصداق أخباره ﷺ في كتب السنة المطهرة، وذكره الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء وغيره، وذكر جملة من أحواله الشنيعة.

ومنها نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى في سنة أربع وخمسين وستمائة الهجرية، كما أخبر به الصادق المصدوق والمبعوث إلى المخلوق ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى تظهر نار بالحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى»[1] وفي تلك روايات صحيحة عند البخاري والحاكم وأحمد والطبراني وأبي يعلى و«مسند الفردوس» كثيرة لا نطول بذكرها، وقصتها محررة في «الإشاعة»[2].

وفي «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»[3]، المؤلف في سنة (١٠٨٠) الهجرية، للشيخ العالم أبي الفلاح عبد الحي بن محمد بن العماد المدني رحمه الله، قال: وبقيت أياماً، قيل: ثلاثة أشهر. وكان نساء المدينة يغزلن على ضوئها، وظن أهل المدينة أنها القيامة، انتهى.

وذكرها القسطلاني والمؤرخون بالتفصيل والإجمال.

سبحان من أضحت مشيئته جارية في الورى بمقدار

وهذه النار غير النار التي تخرج في آخر الزمان، تحشر الناس إلى محشرهم تبيت معهم وتقيل.

ومنها ظهور الرافضة واستبدادهم بالملك، وإظهار الطعن واختيار اللعن على السلف من الصحابة الكرام.

وهذا أعظم الفتن وأشد المحن وموت السنن.

---

(١) البخاري (٢٦٠٥/٦) ومسلم (٢٢٢٧/٤).

(٢) (ص ٣٧).

(٣) (٢٦٣/٥).

ولعن آخر هذه الأمة أولها من أشراط الساعة، وقد وقع وقوعاً لا يخفى على أحد الناس في العرب والعجم، ومن فتنتهم أنهم قتلوا العلماء بأكثر البلاد حتى استولوا على بغداد وشيراز وغيرهما.

وناهيك أن في القرآن والسنة ما يقضي بكفرهم، وفسقهم وضلالتهم.

قال تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩].

وهم يملكون بعض بلاد الإسلام إلى يومنا هذا كبلدة أصفهان وما يليها، وكانت طائفة فاحشة منهم ملكت بعض ديار الهند إلى أن أبادهم الله تعالى ومزقهم، وجعلهم أحاديث، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

وكان نصير الدين محمد بن حسن الطوسي من رؤساء هذه الطائفة رأساً في علم الأوائل ذا منزلة من "هولاكو خان".

قال الحافظ الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر القيم في كتابه «إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان»[١] ما لفظه: لما انتهت النوبة إلى نصير الشرك، والكفر، والإلحاد، وزير الملاحدة الطوسي، وزير هولاكو شفى نفسه من أتباع الرسول، وأهل دينهم فعرضهم على السيف حتى شفا إخوانه من الملاحدة واشتفى هو، فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين، واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط إليهم، وجعلهم خاصته وأوليائه، ونصر في كتبه قدم العالم، وبطلان المعاد وإنكار صفات الرب جل جلاله: من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره، [وأنه لا داخل العالم ولا خارجه وليس فوق العرش إله يعبد ألبتة][٢]، واتخذ للملاحدة مدارس، ورام جعل «إشارات» إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن فلم يقدر على ذلك، فقال: هي قرآن الخواص، وذلك قرآن العوام، ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين فلم يتم له الأمر، وتعلم السحر في آخر الأمر فكان ساحراً عبد الأصنام، انتهى بلفظه.

---

(١) (٢/٢٦٧).

(٢) زيادة من إغاثة اللهفان .

قال في «شذرات الذهب»[1] بعد هذا النقل: توفي في ذي الحجة ببغداد سنة (٦٧٢هـ) وقد نيف على الثمانين، انتهى.

ومنها احتراق المسجد النبوي ليلة الجمعة أول ليلة من رمضان بعد صلاة التراويح، على يد الفراش "أبي بكر المرعي"، بسقوط ذبالة من يده، فأتت النار على جميع سقوفه ووقعت بعض السواري وذاب الرصاص، وذلك قبل أن ينام الناس، واحترق سقف الحجرة الشريفة ووقع بعضه في الحجرة، وقال بعض الناس في ذلك:

لم يحترق حرم النبي لريبة ... تخشى عليه ولا دهاه العار

لكنه أيد الروافض لامست ... ذاك الجناب فطهرته النار

ذكره في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»[2] وقد ذكر فيه الحوادث الماضية على ترتيب السنوات إلى آخر سنة ألف الهجرية بالإجمال فليعلم.

ومنها خروج دجالين كذابين، كلهم يدعي أنه رسول الله كما أخبر به النبي ﷺ في أحاديث صحيحة في السنن والصحاح وغيرها، منها ما تقدم في المقدمة.

ولأحمد وأبي يعلى من حديث ابن عمرو: « بين يدي الساعة ثلاثون دجالاً كذاباً »[3] ونحوه عند أحمد عن عليّ، والطبراني عن ابن مسعود.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[4]: وهو – إن ثبت – محمول على المبالغة، لا على التحديد.

وأما التحديد ففيه ما أخرجه أحمد[5] عن حذيفة بسند جيد: « في أمتي كذابون و دجالون سبعة وعشرين منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي » قال: هذا

---

(١) (٣٤٠/٥).

(٢) (٢٦٣/٥).

(٣) أحمد (١١٧/٢).

(٤) في الفتح (٨٦/١٣-٨٧) والمؤلف اختصر الكلام فأذهب المعنى وهذه العبارة قالها الحافظ عقب رواية (سبعين كذاباً) فقال : وسندها ضعيف وهو إن ثبت الخ كلامه. ثم وقفت على كتاب الإشاعة والمؤلف ينقل كلامه وإذا فيه : قال الحافظ ابن حجر : وسندها ضعيف وهو إن ثبت ... ثم ساق الكلام .

(٥) (٣٩٦/٥).

يدل على أن رواية الثلاثين بالجزم على طريق جبر الكسر، ويؤيده حديث البخاري: "قريب من ثلاثين"، وما ذكره من الثلاثين أو نحوها يدعون النبوة، ومن زاد عليهم كما في رواية "أو أكثر" وفي رواية "سبعون[1]" يكون كذاباً فقط، لكن يدعون إلى الضلال كغلاة الرافضة والباطنية والحلولية، وسائر الفرق الدعاة إلى ما يعلم بالضرورة أنه خلاف ما جاء به محمد ﷺ.

قال في ((الإشاعة))[2]: وقد كان منهم الأسود العنسي بصنعاء، ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة، ثم ذكر من خبرهما ما ذكره البقاعي في ((اللامعة المنيرة)).

قال: وخرج في زمن "أبي بكر" طليحة بن خويلد الأسدي بناحية خيبر، وادعى النبوة، ثم تاب كذا في ((الفتح))[3].

وقيل: خرج في عهد النبي ﷺ.

وتنبأت سجاح بنت سويد في فرسان تغلب.

وخرج المختار في زمن ابن الزبير وعبد الملك بن مروان، وكان يدعي أنه يوحى إليه، وفتنه كثيرة شهيرة.

وخرج المتنبي الشاعر، ثم تاب، وخرج جماعة في زمن بني العباس منهم في أيام المعتمد قائد فتنة الزنج بهبود الذي أفسد العراق، وأهان آل الرسول، كان يدعي أنه أرسل إلى الخلق فرد الرسالة، وأنه مطلع على المغيبات.

وفي خلافة المكتفي خرج يحيى القرمطي، ثم بعده أخوه الحسين، ثم ابن عمه عيسى بن مهرويه وظهر على الشام وعاث وأفسد، ودعا عليه الناس على المنابر ثم قتل.

وخرج في خلافة المقتدر أبو طاهر القرمطي.

وفي خلافة الراضي ظهر محمد بن علي الشلمغاني، وقد شاع عنه أنه يدعي الإلهية فصلب وقتل معه جماعة من أصحابه.

---

(١) وإسنادها ضعيف كما أشار الحافظ.

(٢) (٤٤).

(٣) (٢٩٠/١١).

وظهر في خلافة المطيع قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم أن روح علي انتقلت إليه، وامرأته تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها، وآخر يدعي أنه جبريل.

وفي خلافة "المستظهر بالله" في سنة تسع وتسعين وأربعمائة ظهر رجل بنواحي نهاوند فادعى النبوة وتبعه خلق كثير، أخذوا فقتلوا، وخرج جماعة آخرون بالمغرب وغيرها من الرجال والنساء.

فمنهم رجل يسمى "بلا" وحرّف الحديث المشهور : « لا نبي بعدي ». ومنهم الغازاري الساحر، وقتل.

ومنهم امرأة ادعت النبوة فذكروا لها الحديث، فقالت: إنما قال: لا نبي، ولم يقل: لا نبية.

والحاصل أن عدد سبعة وعشرين قد تم أو كاد أن يتم.

وأما مطلق الكذابين فلا حصر لهم، ومن هذا القسم من يدعي أنه المهدي، وهؤلاء كثيرون، انتهى.

قلت: ومنهم السيد الجونفوري ادعى المهدوية في الهند في سنة خمس وتسعمائة، وقال: إنه يوحى إليه، ومن وحيه الشيطاني قوله: علمت من الله بلا واسطة جديدة اليوم، قل إني عبد الله تابع محمد رسول الله، محمد مهدي الزمان، وارث نبي الرحمن، عالم علم الكتاب والإيمان، مبين الحقيقة والشريعة والرضوان، انتهى نقلاً عن أم العقائد من كتب المهدوية.

ثم إنه طاف بلاد الهند، وحج ولم يزور النبي ﷺ، وأخرج من أكثر البلاد بحكم ملوكها إلى أن مات ببلدة "فراه" في سنة عشرة وتسعمائة، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وللشيخ أبي الرجاء محمد الهندي نزيل حيدر أباد — المتوفى في سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف — كتاب في رده ورد من تبعه باللسان الهندي سماه «الهدية المهدوية» أوضح فيه جميع أحواله من يوم المهد إلى اللحد، ورد على الفرقة المهدوية رداً مشبعاً، وهو كتاب نافع جداً.

ومنهم رجل أصله من بلدة "كشمير" ونشأ هو في بلدة "دهلي" وتوسل بالنصارى حكام الهند اليوم يسمى بسيد "أحمد خان"، أوجد ملة جديدة سماها نيجرية ينكر وجود الملائكة والشياطين، ويحرف معاني نصوص الكتاب والسنة وهو اليوم حي، وتبعه قوم ممن أشربت قلوبهم حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة، وقد قيض الله سبحانه وتعالى لرده، ورد أقوال من تبعه جماعة من المسلمين والمتسمين بالعلم يتعقبونه في كل نقير وقطمير.

وكذلك أكثر أهل الجوائب الهندية، وبالله التوفيق، وهو المستعان.

وقال في «الإشاعة»[1] : ومنهم من ادعى أنه صحابي رأى النبي ﷺ كالمعمر المشهور بالرتن الهندي، ولا شك أن ما أخبر به الصادق لصادق، وإن الدين لواقع، انتهى.

ومنها فتح بيت المقدس، وقد فتح مرتين مرة في زمن عمر بن الخطاب، ومرة في زمن الأكراد الأيوبية، فتحه السلطان صلاح الدين الملك المؤيد، وكان من أعظم فتوح الإسلام، ثم بعد موته رد بعض أولاده إلى النصارى، ثم استرده حفيده داود الملك الناصر، وهو اليوم بيد سلطان الروم[2]، ولله الحمد[3].

---

(١) (٤٧).

(٢) يقصد الدولة العثمانية وهو اصطلاح غير جيد.

(٣) ولما تآمر المنافقون على الدولة العثمانية وأسقطوا الخلافة الإسلامية دخلت القوات البريطانية بيت المقدس بتاريخ (١٣٣٥/٣/٢٦هـ) الموافق (١٩١٧/١/١٩م) بقيادة الجنرال اللنبي وقال قولته المشهورة : (ها قد عدنا يا صلاح الدين) ثم مكّنَّ البريطانيون لليهود في فلسطين ؛ فشجعوا على الهجرة إليها ، وجعلوها وطناً قومياً لليهود[٣]، ثم خرجت بريطانيا من فلسطين ، وتمكن اليهود من احتلال جزء من فلسطين سنة ١٩٤٨م بعد أن جردت بريطانيا أهلها من السلاح والعتاد وقضت على المجاهدين الأحرار الذين قاموا بمناهضتها ومناهضت اليهود قبيل خروجها ، وبالتالي أصبحت فلسطين مقسمة بين العرب واليهود ، ثم في ٨ / من حزيران / سنة ١٩٦٧م الموافق ١٣٨٧/٣/١هـ احتل اليهودُ بيت المقدس ، ووقع أسيراً بأيديهم هو وكل فلسطين ، وما زال بيت المقدس بأيديهم يعيثون فيها فساداً إلى أن يعود المسلمون إلى دينهم ، وما أجود ما قاله شيخ الإسلام في الفتاوى (٤٣٧/٢٧) : ((وكذلك الشام كانوا في أول الإسلام في سعادة الدنيا والدين ، ثم جرت فتن ، وخرج الملك من أيديهم ، ثم سلط عليهم المنافقون الملاحدة والنصارى بذنوبهم ، واستولوا على بيت المقدس وقبر الخليل وفتحوا البناء الذي كان عليه وجعلوه كنيسة ، ثم صلح دينهم ، فأعزهم الله ونصرهم على عدوهم ؛ لما أطاعوا الله ورسوله واتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم ، فطاعة الله ورسوله قطب السعادة وعليها تدور : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً ﴾ وكان النبي ﷺ يقول في خطبته : من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه ، ولا يضر الله شيئاً)) .

ومنها فتح المدائن وهي كثيرة جداً من عهد الصحابة، لا سيما من زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى آخر سلطنة الإسلام في بغداد، وقد بين السيوطي في «تاريخ الخلفاء» أسماءها على ترتيب الفتوح، لا نطول بذكرها.

ومنها هلاك العرب: أعني زوال ملكهم، وهو من أشراط الساعة.

وقد زال ملك العرب بزوال الملك عن بني العباس.

ومنها كثرة المال وفيضه، وفيها حديث أبي هريرة عند الشيخين، وهذا قد وقع في زمن عثمان حين اقتسموا أموال الفرس والروم، ووقع في زمن عمر بن عبد العزيز، وسيقع في آخر الزمان في زمن عيسى عليه السلام.

ومنها أن تزول الجبال عن أماكنها، كما رواه الطبراني[1] عن سمرة يرفعه.

ومنها وقوع ثلاث خسوفات: « خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب». رواه الستة إلا البخاري[2].

وهذه الخسوفات وقعت[3] في خلافة سليمان بن عبد الملك، وخلافة المطيع وغيرهما ببخارى وبالري ونواحيها، وببلدة طالقان وبقرية من أعمال بصرى وأذربيجان وغيرهما من ديار العجم، ولا تكاد تنحصر الخسوفات، وخسف في زماننا هذا بعدة قرى كثيرة.

ومنها كثرة الزلازل، وكثرة القتل، والرجف، وهي من أشراط الساعة وفي ذلك أحاديث عند أهل السنن والصحيح.

وضبط في «الإشاعة»[4] تلك الزلازل، وقال: وأما الصغار منها فلا تكاد تنحصر.

ومنها المسخ والقذف، وفيهما أحاديث عند مسلم وأحمد والحاكم والطبراني والترمذي والبغوي وغيرهم، وذكرها في «الإشاعة»[5] وضبطها.

---

(١) في معجمه الكبير (٢٠٧/٧).

(٢) مسلم (٢٢٢٥/٤) والنسائي في الكبرى (٤٢٤/٦) والترمذي (٤٧٧/٤) وابن ماجه (١٣٤٧/٢).

(٣) قلت: والظاهر أنها لم تقع بعد فهو يتحدث عن خسف عظيم هائل من أشراط الساعة.

(٤) (٤٨).

(٥) (٥٠).

ومنها الريح الحمراء الشديدة، والأمور العظام، كالقحط والنار وغلبة الإفرنج والزنج، والغلاء، والوباء، ونحوها وذكر ذلك في «الإشاعة»[1]، وذكر سني وقوعها.

ومنها انقطاع طريق الحج، وأما هدم البيت كله، وانقطاع الحج بالكلية فإنما يكون في آخر الزمان، وكذا رفع القرآن والعياذ بالله.

ومنها كثرة الموت، وفي الحديث: « ثم موتان كقعاص الغنم» رواه البخاري وابن ماجه والحاكم[2]، وهذا وقع في زمن عمر في طاعون عمواس وغيره.

والطواعين، والوباءات الواقعة في أقطار الأرض كثيرة لا تكاد تنحصر.

ووقع سنة (٤٢٣هـ) طاعون ببلاد الهند والعجم، ويقع إلى الآن بعد أعوام في قطر من أقطارها، على ضعف في بعض، وقوة في بعض، ووقع في هذا العام الحاضر في قطر من الدكن، وضبط في «الإشاعة»[3] كلها بسنوات.

ومنها استباحة مكة المكرمة، وهذه وقعت في زمن يزيد، وزمن أبي طاهر القرمطي، وبعد ذلك مرات، وسيقع قبل خروج المهدي وآخر من يستبيحها ذو السويقتين من الحبشة، كما ورد في الأحاديث إلى غير ذلك مما أخبر به النبي ﷺ أنه من أمارات الساعة، فظهر ومضى وانقضى.

والمقصود التنبيه على وقوع ذلك لا التحذير منها، فإنها فاتت؛ وإنما الحذر مما يأتي من أمثالها.

والله نسأل أن يميتنا على الإيمان، غير مفتونين ولا مبدلين، وكل واحدة من هذه الفتن تحتمل مجلداً بل مجلدات، وتفصيلها يورث قسوة القلب والضغائن، وما لا ينبغي.

والمهم ذكر ما يلين الفؤاد، ويحزنه، ويزجره عن الغفلة، وبالله التوفيق.

---

(١) (٥٢).

(٢) البخاري (١١٥٩/٣) وابن ماجه (١٣٤١/٢) والحاكم (٤٦٥/٤).

(٣) (٥٦).

باب في الفتن المتوسطة التي ظهرت ولم تنقض
بل تتزايد إلى أن تتكامل وتتصل بالقسم الثالث

وهي أمور تكون بين يدي الساعة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين [كلهم] يزعم أنه رسول الله، حتى يقبض العم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج – وهو القتل – وحتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس يعني آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » أخرجه البخاري[1].

قال أهل العلم على ما في «التذكرة»[2] للقرطبي: هذه ثلاث عشرة علامة جمعها أبو هريرة في حديث واحد، ولم يبق بعد هذا ما ينظر من صحيح العلامات والأشراط، وفي عموم إنذار النبي ﷺ بفساد الزمان، وتغير الدين وذهاب الأمانة ما يغني عن ذكر التفاصيل الباطلة، والأحاديث الكاذبة في أشراط الساعة؛ من ذلك حديث رووه عن أنس مرفوعاً: "أن في سنة المائتين يكون كذا وكذا، وفي العشر والمائتين كذا وكذا"، الحديث بطوله، فهل كان هكذا، وقد مضت هذه المدة؟ وهذا شيء يعم، وسائر الأمور التي ذكرت قد تكون في بلدة وتخلو منها أخرى.

---

(١) البخاري (٦/٢٦٠٥).

(٢) (٧١٢-٧١٣).

وأيضاً دلالة أخرى على أنه مفتعل، أن التاريخ لم يكن على عهد رسول الله ﷺ، وإنما وضعوه على عهد عمر، فكيف يجوز هذا على عهد رسول الله ﷺ أن يقال في سنة كذا ويكون كذا؟ والذي ينبغي أن يقال له في هذا الباب: أن ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر(١).

وإنما ذلك كوقت قيام الساعة فلا يعلم أحد أي سنة هي، ولا أي شهر.

أما أنها تكون في يوم الجمعة في آخر ساعة منه، وهي الساعة التي خلق الله فيها آدم عليه السلام، ولكن أي جمعة؟ لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا الله وحده لا شريك له، وكذا ما يكون من أشراط تعيين الزمان لها لا يعلم، والله أعلم.

وأما الثلاث عشرة خصلة فقد ظهر أكثرها من ذلك قوله: "حتى تقتتل فئتان" يريد فتنة معاوية وعلي بصفين، وقد تقدم الإشارة إليهما.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: وهذا أول خطب طرق في الإسلام.

قال القرطبي: بل أول أمر دهم الإسلام موت النبي ﷺ، ثم بعده موت عمر، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب، وغير ذلك.

والدجال يطلق في اللغة على أوجه كثيرة، أحدها الكذاب.

وقوله :قريباً من ثلاثين" قد جاء عدده معيناً من حديث حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في أمتي دجالون كذابون سبعة وعشرين منهم أربع نسوة، وأما خاتم النبيين، لا نبي بعدي» خرجه الحافظ أبو نعيم(٢)، وقال: هذا حديث غريب، تفرد به معاوية بن هشام، وحدث به الإمام أحمد عن علي(٣).

---

(١) وهذا الذي جنح إليه أخيراً هو الصواب.

(٢) في الحلية (١٧٩/٤) قلت: خرجه من هو أعلى طبقة وأصح منه أحمد (٣٩٦/٥) كما ذكره المؤلف فيما مضى .

(٣) قلت : هذا من كلام أبي نعيم واختصره المؤلف اختصاراً مخلاً حيث المقصود بعلي إنما هو علي بن المديني وأوهم المؤلف أنه علي بن أبي طالب .

قال القاضي عياض: هذا الحديث قد ظهر، فلو عد من تنبأ من زمن النبي ﷺ إلى الآن ممن أشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة على ضلالته لوجد هذا العدد فيهم. ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا.

وقوله: "حتى يقبض العلم" فقد قبض العمل به، ولم يبق إلا رسمه(١)، وأما كثرة الزلازل فقد ذكر ابن الجوزي أنه وقع منها بعراق العجم كثير، وقد شاهدنا بعضها بالأندلس(٢).

وقوله: "يتقارب الزمان" معناه: تتقارب أحوال أهله في قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف، ولا من ينهى عن منكر، كما هو اليوم لغلبة الفسق، وظهور أهله(٣).

وأما كثرة المال فهذا مما لم يقع.

وأما التطاول في البنيان: فهذا مشاهد في الوجود يغني عن الكلام فيه.

وأما قوله: "ياليتني مكانه"، فذلك لما يرى من عظيم البلاء، وربح الأعداء، وغبن الأولياء، ورياسة الجهلاء، وخمول العلماء، واستيلاء الباطل في الأحكام، وعموم الجهل بالمعاصي والظلم واستيلاء الحرام على أموال الخلق، والتحكم في الأبدان والأموال والأعراض بغير حق كما في هذه الأزمان، وهذا هو ذلك الزمان الذي قد استولى فيه الباطل على الحق، وتغلب فيه العبيد على الأحرار من الخلق؛ فباعوا الأحكام، ورضي بذلك منهم الحكام، وصار الحكم مكساً، والحق عكساً، لا يوصل إليه، ولا يقدر عليه، بدلوا دين الله وغيروا حكمه: ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ – وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ – الظَّالِمُونَ – الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧،٤٥،٤٤،٤٢]، والآية عامة فيمن بدل حكم الله وغيره، ولقد أحسن ابن المبارك حيث يقول في أبيات شعر:

---

(١) هذا في زمانه فكيف لو شاهد زماننا وما فيه من المصائب المبكية المضحكة .

(٢) وللسيوطي رسالة في ذلك اسمها (الصلصلة في أخبار الزلزلة).

(٣) بل تقارباً حقيقياً وقد شاهدنا ذلك.

وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: « إن بين يدي الساعة التسليم على الخاصة، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وفشو العلم — أي ظهور الكتاب — وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق » أخرجه أبو عمر بن عبد البر[١].

وعن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويكثر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » أخرجه البخاري[٢]، وخرجه مسلم عن أنس.

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: « ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحداً يأخذها منه، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء» أخرجه مسلم[٣].

قال القرطبي[٤]: يريد — والله أعلم — أن الرجال يقتلون في الملاحم، وتبقى نساؤهم أرامل، فيقبلن على الرجل الواحد في قضاء حوائجهن ومصالح أمورهن، كما في الحديث قبله: "حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد" الذي يسوسهن، ويقوم عليهن من بيع وشراء، وأخذ وعطاء، وقد كان هذا عندنا، أو قريب منه بالأندلس.

وقيل: لقلة الرجال، وغلبة الشهوة على النساء يتبع الرجل الواحد أربعون امرأة، كل واحدة تقول: انكحني انكحني، والأول أشبه، ويكون معنى: "يلذن" :يستترن، من الملاذ الذي هو الستر لا من اللذة، وقد أخبرنا صاحبنا أبو القاسم رحمه الله تعالى: أنه

---

(١) في التمهيد (٢٩٧/١٧) قلت: ورواه من هو أعلى طبقة وصحة منه فقد رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٦٠) وأحمد في المسند (٤٠٧/١).

(٢) قلت: وهم المؤلف فلم يخرجه البخاري من حديث معاوية والحديث خرجه البخاري (٢٠٠٥/٥) ومسلم (٢٠٥٦/٤) من حديث أنس.

(٣) مسلم (٧٠٠/٢) قلت: ورواه البخاري أيضاً (٥١٣/٢).

(٤) في التذكرة (٧٢٤).

ربط نحواً من خمسين امرأة واحدة بعد أخرى في حبل واحد مخافة سبي العدو لما خرجوا من قرطبة أعادها الله.

وأما ظهور الزنا فذلك مشهور في كثير من البلاد المصرية[١]، انتهى.

قلت: وهذه الشنيعة أكثر ما تكون في بيوت الملوك والرؤساء حتى إن في أكثر بيوتهم يرون النكاح منكراً، والسفاح معروفاً، زعماً منهم أن في ذلك كسر شوكة الإمارة، ونقص شأن الرياسة، فتدخل النساء عليهم بغير عقد شرعي، وتلدن منهم لهم حتى أن بعضهم يقع على أزواج الآباء والأبناء، ولا يبالي به ولا يخاف الله تعالى ولا بطشه في الدنيا والآخرة، فغالب أولادهم ولد السفاح.

وهذا من أعظم ما أصيب به الإسلام منذ أزمان في أكثر أقطار الأرض كلها العرب منهم والعجم، ولذلك ترى أنه لا يستقيم النسب لأكثر هؤلاء، وإنما النكاح في غرباء الإسلام وأداني المسلمين، والله يختص برحمته من يشاء.

قال القرطبي[٢]: وأما قلة العلم وكثرة الجهل فذلك شائع في جميع البلاد وذائع، وأعني برفعه وقلته ترك العمل به، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف، ولكن إقامة حدوده"[٣].

وعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعاً، ولكن ينزعه منهم بقبض العلماء فيبقى ناس جهال يستفتون برأيهم فيضلون ويضلون» أخرجه البخاري ومسلم[٤]، وفي رواية « حتى إذا لم يبق عالماً أخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[٥].

(١) قلت: وأما اليوم فقد عم وطم سائر البلاد ولم يسلم من فشوه إلا بلاد الحرمين بل أصبحت له رخص وبيوت كما ترخص محلات التجارة فإنا لله وإنا إليه راجعون والله المستعان على ما يصفون.

(٢) (٧٢٤).

(٣) انظر تفسير الطبري (٥٢١/١).

(٤) البخاري (٢٦٦٥/٦) ومسلم (٢٠٥٨/٤).

(٥) البخاري (٥٠/١).

قال القرطبي: في «التذكرة»[1]: قال علماؤنا رحمهم الله: ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الباب وغيره مما تقدم ويأتي، قد ظهر أكثره، وشاع في الناس معظمه، فوسد الأمر إلى غيره، وصار رؤوس الناس أسافلهم، عبيدهم وجهالهم، فيملكون البلاد، والحكم في العباد، فيجمعون الأموال، ويطيلون البنيان، كما هو مشاهد في هذه الأزمان، فلا يسمعون موعظة، ولا ينزجرون عن معصية.

قال قتادة: فهم صم عن استماع الحق، بكم عن التكلم به، عمي عن الإبصار له[2].

وهذه صفة أهل البادية والجهالة.

وأما "أن تلد الأمة بعلها"، فقال وكيع: هو أن تلد العجم العرب.

قال علمائنا: وذلك بأن يستولي المسلمون على بلاد الكفر فيكثر التسري، فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها، لشرفه ومنزلته بأبيه.

وعلى هذا فالذي يكون من أشراط الساعة استيلاء المسلمين، واتساع خططهم، وكثرة الفتوح، وهذا قد كان.

وقيل: إنما كان سيدها وربها؛ لأنه كان سبب عتقها، كما قال ﷺ في مارية: « أعتقها ولدها».

وسمعت شيخنا أحمد بن محمد، المعروف بابن حجة يقول غير مرة: هو الإخبار عن استيلاء الكفار على بلاد المسلمين، كما في هذه الأزمان التي استولى فيها العدو على بلاد الأندلس وخراسان وغيرها من البلاد، فتسبى المرأة وهي حبلى، أو ولدها صغير، فيفرق بينهما فيكبر الولد، فربما يجتمعان ويزوجان كما قد وقع من ذلك كثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون[3].

ويدل على هذا قوله: "إذا ولدت المرأة بعلها" وهذا هو المطابق للأشراط مع قوله ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى تكون الروم أكثر أهل الأرض» انتهى[4].

---

(١) (٧٢٨).

(٢) انظر تفسير القرطبي (٢١٥/١).

(٣) قلت: والأظهر حمله على عقوق الوالدين وإليه جنح الحافظ في الفتح .

(٤) من التذكرة (٧٢٦-٧٢٩).

ولعل المراد بالروم النصارى، والله أعلم.

وذكر في «الإشاعة»[1] أن منها أي من أشراط الساعة كثرة الفحش والتفحش، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن، وانتفاخ الأهلة، وكثرة القطر، وقلة النبات، وكثرة القراء، وقلة الفقهاء، وكثرة الأمراء، وقلة الأمناء، وكون الزهد رواية، والورع تصنعاً، وإفاضة الأشرار فيضاً، وتصديق الكاذب، وتكذيب الصادق، وتقريب الأباعد، وتبعيد الأقارب.

قال: وظهور المعازف وشرب الخمور، وكثرة الشرط، أي أعوان السلطان، وكثرة الهمزة اللمزة الغمازين، وتسمية الخمر بالنبيذ، والربا بالبيع، والسحت بالهدية، والتعلم لغير دين الله، وإمارة الصبيان، وجور السلطان، وتطفيف المكيال والميزان، وإتيان الشياطين في صورة الرجال، وتحديثهم الناس بالأحاديث الكاذبة، وترك توقير الكبير والرحم على الصغير، والعلم في الأراذل، والجهل في أولاد الأفاضل، والمداهنة في الخيار، والتماس العلم عند الصغار، وقتل الرجل أباه وأخاه، ورفع الوضيع، وخفض الرفيع، وكثرة الخطباء، وركون العلماء إلى الولاة، والفتوى بما يشتهون، وتعلم العلم لجمع الدراهم والدنانير، واتخاذ القرآن تجارة، وقراءته بالأجرة، والتلاعن عند الملاقاة.

وهذا كثير في الفلاحين والجمالين والسفلة والسوقة والباعة، وأهل العساكر، وأصحاب المواكب، فيبدأ أحدهم بشتم صاحبه عند اللقاء مكان السلام، ويمضي كل منهم ولا يعرف تحية الإسلام، وأخذ المال والعرض بغير حق، وسفك الدماء، ونقص الأعمار والأبناء والثمار، وقصر الأيام والليالي، وكثرة الهرج والمرج، وبناء القصور العالية، وظهور البغي والرشا، والحمية الجاهلية، والشح والعصبية، واختلاف الأهواء وتباين الآراء، وإحداث البدع والشرور، وترك الصواب من الأمور، واتباع الهوى، والقضاء بالظن، وأكل الناس بالألسنة؛ كأكل البقر بألسنتها، وتسافدهم في الطرق كالبهائم، وتناكر القلوب، واختلاف الأخوين من الأبوين في الدين، والاستيجار على الغزو، وحيف الولاة، وجور الأئمة، والتصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وإمارة السفهاء، والسلام

---

(١) (٦٧).

على المعرفة، وافتراق الكلمة، وترك الغزو، واتخاذ المساجد طرقاً، والغش في التجار، واستخفاء المؤمن كالمنافق، وعدم الاستحياء من الحليم، وعدم اتباع من هو بالقرآن والسنة عليم، وعدم عرفان المعروف ومعرفة المنكر، والاستهزاء بالصالحين، وتحميق المتقين، وهلاك البيوت بالرواجف، وهلاك الدواب بالصواعق، وكثرة الطواعين، والهلاك بالجدري، وتحلية المصاحف، وعدم التدبر فيه مع كثرة التلاوة، وتقارب الأسواق بقلة الأرباح، وفشو الغيبة والسعاية والنميمة، ومكابرة العلماء، ورد بعضهم بعضاً في الفتوى والطعن على السلف، والتشنيع على الخلف، وكثرة البغايا وأولادهم، وظهور المنكر معروفاً وبالعكس، وسوء الجوار، وتعطيل السيوف عن الجهاد، واختيار الدنيا على الدين، وإيثار الرأي على النص، وقلة البركات في كل شيء، وفوت البدار، وموت الفجأة، وركوب المياثر.

وظهور النساء الكاسيات العاريات المميلات المائلات على رؤوسهن كأسنمة البخت، وظهور قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ويمنعونهم عن الدخول على الولاة، وإضاعة الصلوات، والميل مع الهوى، وفعل السيئات، وتعظيم رب المال، وإهانة صاحب العلم، وإكثار العلم وإضاعة العمل، وائتلاف الألسن، واختلاف القلوب، واليقظة للدنيا، والذهول عن الآخرة، وتباين المذاهب، وتخالف الملل، وكثرة النحل، وابتلاء المسلمين بالشرك من حيث لا يشعرون.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

وفي هذا كتاب «رد الإشراك» للشيخ محمد بن إسماعيل الدهلوي رحمه الله تعالى، و «قوت القلوب في توحيد علام الغيوب» للسيد العلامة حسن بن خالد بن عز الدين الحازمي رحمه الله، و«الدر النضيد في إخلاص التوحيد» للشوكاني، و«تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» للسيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليمني، و«التجريد المفيد للتوحيد» للمقريزي، وكتب التوحيد لأهل النجد.

وعموم البلوى في أقطار الأرض كلها من العجم والعرب إلا من عصمه الله تعالى بالتقليد الشخصي لأحد من أئمة المسلين، وقد أصيب به الإسلام إصابة لا يرجى العود عنها، وأشرب قلوب الناس حبه.

والعلماء قد انتبهوا لرده قديماً وحديثاً، وألفوا في ذلك كتباً كثيرة مبسوطة.

منها ((إعلام الموقعين عن رب العالمين)) للحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى، وهو مجلدان ضخمان، و((أدب الطلب ومنتهى الأرب)) و((إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد)) للسيد محمد الأمير اليماني، و((تحفة الأنام في العمل بأحاديث خير الأنام)) للشيخ العلامة محمد حياة المحدث المدني، و((المنهج السديد في الذب عن التقليد)) للعالم الصالح محمد عبد الله خان العلوي، تلميذ الشيخ محمد إسماعيل الدهلوي رحمه الله تعالى، و((الجنة في الأسوة الحسنة بالسنة)) لهذا العبد الجاني، و((الشهاب الثاقب)) لأخي السيد أحمد بن حسن البخاري القنوجي رحمه الله تعالى، و((دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب)) للشيخ محمد أمين المغربي، إلى غير ذلك.

وبدعة التصوف، وفيه كتاب: ((الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)) لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى، وبدعة التشبه بالأقوام المخالفة لما جاء به الإسلام، وفيه كتاب ((اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)) لابن تيمية رحمه الله تعالى، وإيثار العقل على النقل، وفيه كتاب ((رد المنطقيين)) لابن تيمية رحمه الله تعالى أيضاً.

والفتن كثيرة لا تحصى والأخبار فيها غزيرة لا تستقى، ذكر طرفاً صالحاً منها الشيخ العلامة محمد الحنبلي السفاريني في كتاب ((البحور الزاخرة من علوم الآخرة)).

وهذه الجملة من الأشراط موجودة تحت أديم السماء، وهي في التزايد يوماً فيوماً، وقد كادت أن تبلغ الغاية، أو قد بلغت، ولم يبق إلا الأشراط الكبرى التي أولها ظهور المهدي.

قال القرطبي[1]: كل ما وقع في الأخبار من الأشراط؛ فقد شاهدناه بتلك البلاد وعاينا معظمه إلا خروج المهدي.

قال[2]: وقال العلماء: الحكمة في تقديم الأشراط، ودلالة الناس عليها تنبيه الناس من رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعودة بها، والله أعلم.

وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها، ولا بد من ذكرها حتى يوقف عليها، ويتحق بذلك معجزة النبي ﷺ وصدقه في كل ما أخبر به ﷺ، انتهى.

فهذه قطرة من بحار أشراط الساعة ذات الفتن والأهوال، وذرة من وادي علاماتها وأماراتها التي وردت بها الأخبار والآثار والأقوال.

وقد ساق السيوطي أحاديث الأشراط في «الدر المنثور»، وغيره في غيره من المسطور.

نسأل الله سبحانه أن يجنبنا الفتن، ويعصمنا من المحن، ويميتنا على السنن، ويغفر لنا الذنوب التي جنيناها في السر والعلن، إنه قريب مجيب، وهو ولي التوفيق.

---

(١) في التذكرة (٧٠٣).

(٢) (٧٠٩).

باب في الفتن العظام والمحن التي تعقبها الساعة

وهي أيضاً كثيرة جداً:

منها المهدي الموعود المنظر الفاطمي، وهو أولها، والأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها كثيرة جداً، تبلغ حد التواتر، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد.

وقد أوضح القول فيها القاضي مؤيد الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي في كتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر »[1] حيث قال: يحتجون في الباب بأحاديث خرجها الأئمة، وتكلم فيها المنكرون لذلك، وربما عارضوها ببعض الأخبار، وللمنكرين فيها من المطاعن فإذا وجدنا طعناً في بعض رجال الأسانيد، بغفلة، أو بسوء حفظ، أو ضبط، أو سوء رأي تطرق ذلك إلى صحة الحديث، وأوهن منها إلى آخر ما قال.

وليس كما ينبغي؛ فإن الحق الأحق بالاتباع، والقول المحقق عن المحدثين، المميزين بين الدار والقاع، أن المعتبر في الرواة ورجال الأحاديث أمران لا ثالث لهما، وهما الضبط والصدق، دون ما اعتبره عامة أهل الأصول من العدالة وغيرها، فلا يتطرق الوهن إلى صحة الحديث بغير ذلك، كيف ومثل ذلك يتطرق إلى رجال الصحيحين، وأحاديث المهدي عند الترمذي، وأبي داود، وابن ماجه والحاكم، والطبراني، وأبي يعلى الموصلي، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة فتعرض المنكرين لها ليس كما ينبغي.

والحديث يشد بعضه بعضاً، ويتقوى أمره بالشواهد والمتابعات، وأحاديث المهدي بعضها صحيح، وبعضها حسن، وبعضها ضعيف، وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار، وأنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت النبوي يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى المهدي.

---

(١) (١/٣١١-٣١٢).

ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدي في صلواته إلى غير ذلك.

وأحاديث الدجال وعيسى أيضاً بلغت حد التواتر والتوالي، ولا مساغ لإنكارها كما بين ذلك القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني اليمني – رحمه الله تعالى– في: ((التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر، والدجال، والمسيح)).

قال: والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً، لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك، انتهى.

وقد جمع السيد العلامة بدر الملة المنير محمد بن إسماعيل الأمير اليماني الأحاديث القاضية بخروج المهدي، وأنه من آل محمد ﷺ، وأنه يظهر في آخر الزمان، ثم قال: ولم يأت تعيين زمنه إلا أنه يخرج قبل خروج الدجال، انتهى.

وتكلم في ((الإشاعة)) في المهدي في مقامات:

الأول: في اسمه ونسبه ومولده ومبايعته ومهاجره وحليته وسيرته.

والثاني: في العلامات التي يعرف بها، والأمارات الدالة على قرب خروجه.

والثالث: في الفتن الواقعة قبل خروجه.

ثم ذكر الفتن والملاحم الواقعة في زمنه وهي من أشراطها العظام القريبة.

وأما نحن فنسوق الأحاديث الثابتة في المهدي هنا مساقاً واحداً تقريباً إلى فهم العوام؛ لأنا قد قضينا الوطر من هذا المرام في كتابنا الكبير المسمى بـ((حجج الكرامة في آثار القيامة)) فلا نعيد الكلام.

فنقول وبالله أجول وأصول:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي » أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي[١].

وعنه بلفظ: « يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي»[٢] وزاد أبو داود[٣]: « حتى يبعث الله فيه رجلاً من أمتي أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ».

وكلاهما حديث حسن صحيح، ورواه أيضاً[٤] من طريق موقوفاً على أبي هريرة.

وقال الحاكم[٥]: رواه الثوري وشعبة وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم قال: وطرق عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود كلها صحيحة على ما أصلت من الاحتجاج بأخبار عاصم، إذ هو إمام من أئمة المسلمين، انتهى.

وعن أم سلمة رضي الله عنها بلفظ: « المهدي من عترتي من ولد فاطمة »[٦] رواه أبو داود وابن ماجه، والحاكم في المستدرك[٧] من طريق علي بن نفيل، عن سعيد بن المسيب، عن أم سلمة، ولفظه سمعت رسول الله ﷺ يذكر المهدي، فقال: « هو من بني فاطمة » ولم يتكلم عليه بتصحيح ولا غيره.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بلفظ: « المهدي من أهل البيت يصلحه الله في ليلة » أخرجه أحمد وابن ماجه[٨].

فيلبث سبع سنين، وقال بعضهم: تسع سنين، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون.

وعن أبي سعيد بلفظ: « ليقومن على أمتي رجل من أهل بيتي يوسع الأرض عدلاً، كما وسعت ظلماً يملك سبع سنين » أخرجه أبو يعلى[٩].

---

(١) أحمد (١/٣٧٧) وأبو داود (٤/١٠٦) والترمذي (٤/٥٠٥).

(٢) رواه أبو داود (٤/١٠٦) والترمذي (٤/٥٠٥).

(٣) (٤/١٠٦).

(٤) الترمذي (٤/٥٠٥).

(٥) في المستدرك (٤/٦٠٠).

(٦) أبو داود (٤/١٠٧) وابن ماجه (٢/١٣٦٨).

(٧) (٤/٦٠٠).

(٨) أحمد (١/٨٤) وابن ماجه (٢/١٣٦٧).

(٩) (٢/٣٦٨).

وعنه أيضاً بلفظ: « المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يملك سبع سنين » أخرجه الحاكم في المستدرك، وأبو داود وسكت عليه واللفظ له[١].

وعنه أيضاً بلفظ: « يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده » أخرجه أحمد في المسند[٢]، وليس فيه تصريح بالمهدي، ولكن يشهد له حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: « يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً، ولا يعده عداً »[٣] وعن أبي سعيد أيضاً من طريق أخرى قال: « من خلفائكم خليفة يحثو المال حثياً »[٤].

ولكن لم يقع في هذين الحديثين أيضاً ذكر المهدي ولا دليل يقوم على أنه المراد منهما، والله أعلم[٥].

وعن قرة بن إياس قال: قال رسول الله ﷺ: « لتملأن الأرض جوراً وظلماً، فإذا ملئت جوراً وظلماً بعث الله رجلاً من أمتي اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً فلا يمنع السماء شيئاً من قطرها ولا الأرض شيئاً من نباتها يلبث فيهم سبعاً أو ثمانياً وتسعاً – يعني سنين –» أخرجه البزار، والطبراني في الكبير، والأوسط[٦].

ذكر رسول الله ﷺ المهدي فقال: « يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع وإلا فثمان وإلا فتسع، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً » رواه البزار ورجاله ثقات، قاله الشوكاني.

وعنه أيضاً كالذي قبله، وزاد فيه: « تنعم أمتي فيها نعمة لم ينعموا بمثلها، ترسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدخر الأرض شيئاً من النبات والمال كدوس يقوم الرجل

---

(١) أبو داود (٤/١٠٧) والحاكم (٤/٥١٢).

(٢) (٣/٣٨).

(٣) رواه مسلم (٤/٢٢٣٤).

(٤) أحمد (٣/٩٨).

(٥) قلت : لكن ثبت عند ابن ماجه وغيره (المال يومئذ كدوس يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني).

(٦) البزار (١٦٥١/مختصر زوائد) والطبراني في الكبير (١٩/٣٢) والأوسط (٨/١٧٨) من حديث قرة وهو خطأ من بعض رواته والصواب أن الحديث من مسند أبي سعيد وللحديث طرق يصح بها ذكره شيخنا في الصحيحة (١٥٢٩).

يقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ ›› أخرجه الطبراني في الأوسط، والبزار في مسنده، قال: الشوكاني: ورجاله ثقات، انتهى[1].

وعنه أيضاً بلفظ: ‹‹ لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لطول الله تلك الليلة حتى يلي رجل من أهل بيتي ›› أخرجه الديلمي[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ‹‹ يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة يعيش سبعاً أو ثمانيةً – يعني حججاً – ›› أخرجه الحاكم في المستدرك[3].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ‹‹ يكون في أمتي خليفة يحثو المال في الناس حثياً لا يعده ›› أخرجه الدراقطني[4]، قال الشوكاني: رجاله رجال الصحيح، انتهى، وأصله في صحيح مسلم بلفظ: ‹‹ في آخر أمتي ››[5].

وعنه أيضاً من رواية أبي الطفيل عن محمد بن الحنفية قال: كنا عند علي رضي الله عنه فسأله رجل عن المهدي، فقال علي: هيهات ثم عقد بيده سبعاً، فقال: ذلك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل: الله الله قتل، ويجمع الله له قوماً قزع كقزع السحاب، يؤلف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون إلى أحد، ولا يفرحون بأحد دخل فيهم، عدتهم على عدة أهل بدر، لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر. قال أبو الطفيل: قال ابن الحنفية: أتريده؟ قلت: نعم، قال: فإنه يخرج من هذين الأخشبين، قلت: لا جرم والله لا أدعها حتى أموت، ومات بها – يعني مكة – ›› أخرجه الحاكم في المستدرك[6].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه بلفظ: ‹‹ إن في أمتي المهدي يخرج ويعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً، فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني أعطني، فيحثي له في ثوبه ما

---

(١) الطبراني في الأوسط (٣١١/٥) والبزار ( ) قلت: رواه من هو أعلى منه طبقة وهو ابن ماجه (١٣٦٦/٢).

(٢) قلت: رواه من هو أعلى طبقة وصحة من الديلمي فالعزو إليه مقدم فقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه كما مر.

(٣) (٦٠١/٤).

(٤) لم أره عند الدارقطني وأظن أن صواب العبارة رواه البزار فقد عزاه إليه الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٥) مسلم (٢٢٣٤/٤) ولفظه : (يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عددًا).

(٦) (٥٩٦/٤).

استطاع أن يحمله » أخرجه الترمذي[1] وقال: هذا حديث حسن، وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي ﷺ، وأخرجه ابن ماجه والحاكم من طريق زيد العمي عن أبي الصديق الناجي[2].

وعن أبي سعيد بلفظ: « منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه » أخرجه أبو نعيم في كتاب «المهدي »[3].

وعن علي بن أبي طالب بلفظ: « لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً » أخرجه أحمد في المسند وأبو داود في السنن[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً بلفظ: « المهدي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي » ذكره في كنز العمال[5].

قال السفاريني: الصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزوله عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عُدَّ من معتقداتهم.

وعن أبي سعيد بلفظ: « المهدي منا أهل البيت أشم الأنف أقنى أجلى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ويعيش هكذا وبسط يساره وأصبعين من يمينه — السبابة والإبهام — وعقد ثلاثة » أخرجه الحاكم في المستدرك[6].

وعنه أيضاً بلفظ أن رسول الله ﷺ قال: « تملأ الأرض جوراً وظلماً؛ فيخرج رجل من عترتي فيملك سبعاً أو تسعاً؛ فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً » أخرجه الحاكم[7].

---

(١) (٤/٥٠٦).

(٢) ابن ماجه (٢/١٣٦٦) والحاكم (٤/٦٠١).

(٣) ذكر إسناده ابن القيم في المنار المنيف(١٩٨) وقال: لا تقوم بإسناده حجة. قال شيخنا في الصحيحة (٢٢٩٣): ((ومع ذلك فالحديث عندي صحيح لأنه جاء مفرقاً في أحاديث ...)).

(٤) أحمد (١/٩٩) وأبو داود (٤/١٠٧).

(٥) (١٤/٢٦٨) وعزاه لابن عساكر من حديث ابن مسعود.

(٦) (٤/٦٠٠).

(٧) (٤/٦٠١).

قال السفاريني: إن الواجب اعتقاده من ذلك ما دلت عليه الأخبار الصحيحة، والآثار الصريحة؛ من وجود المهدي المنتظر، الذي يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام في زمانه، هو المراد حيث أطلق المهدي، وأما المذكورون قبله فلم يصح فيهم شيء، والذين من بعده فأمراء صالحون، لكن ليسوا مثله،فهو آخرهم في الوجود، وإمامهم وخيرهم وأفضلهم في الحقيقة.

والمراد غير عيسى بن مريم فإنه رسول كريم مِنْ أولي العزم وهو آية وعلامة وحده، فيجب الإيمان بخروج المهدي ونزوله وخروج الدجال اللعين، انتهى.

وهذا القول صريح في نفي المهديين قبل المهدي الموعود، وأن من أدعى ذلك فإنه دعوى لا تصح ولا توافقه الأدلة والله أعلم.

وعن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله ﷺ « بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله رجلاً من عترتي وأهل بيتي، فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلا صبته، ولا تدع الأرض من نباها شيئاً إلا أخرجته، يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين » أخرجه الحاكم في المستدرك[1] وصححه، وقد تقدم نحوه، قال القرطبي[2]: ويروى هذا من غير وجه عن أبي سعيد الخدري.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « العجب أن أناساً من أمتي يؤمون البيت لرجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسفهم، فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكاً واحداً؛ ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم » رواه مسلم[3] وليس في ذلك تصريح بالمهدي.

---

(١) (٤/٥١٢).

(٢) في التذكرة (٧٠٠).

(٣) (٤/٢٢١٠).

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة » رواه مسلم[1].

وليس فيه أيضاً ذكر المهدي، ولكن لا محمل له ولأمثاله من الأحاديث إلا المهدي المنتظر؛ لما دلت على ذلك الأخبار المتقدمة والآثار الكثيرة.

هذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي، وهي كما رأيت يقوي بعضها بعضاً، وفيه ثمانية وعشرون أثراً عن الصحابة الكبار عند أهل العلم بالحديث، ومثله لا يقال بالرأي.

وقد امتلأت كتب المتأخرين من المتصوفة والمشايخ في أمر الفاطمي المنتظر، ولم يكن المتقدمون منهم يخوضون في شيء من هذا، وإنما كان كلامهم في المجاهدة بالأعمال، وما يحصل منها من نتائج المواجد، والأحوال، حتى أكثر القول فيه، وفي شأنه كله ابن عربي الحاتمي، في كتاب « عنقاء مغرب» وابن قي في كتاب «خلع النعلين» و عبد الحق بن سبعين وابن أبي، وأطال تلميذه في شرحه لكتاب «خلع النعلين » وأغلب كلماتهم في شأنه ألغاز وأمثال، وربما يصرحون في الأقل أو يصرح مفسروا كلامهم وكأنه كله مبني على أصول واهية، وربما يستدل بعضهم بكلام المنجمين في القرانات، وهو من نوع الكلام في الملاحم ومذاهب الصوفية، وأقوالهم ليست من غرضنا في هذا الكتاب، ولا في غيره، فإنا لا نتمسك في الدين إلا بالقرآن والحديث ولا ندين الله إلا بهما.

وقد بسط القول في ذلك القاضي بن خلدون في كتابه «العبر» ورد عليهم في هذا رداً مشبعاً، ثم قال[2]: والحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك أنه لا يتم دعوة من الدين والملك، إلا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه، وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي أريناك هناك وعصبية الفاطميين، بل

---

(١) (١٣٧/١).

(٢) (٣٢٧/١-٣٢٨).

وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق، ووجد أمم آخرون قد استعلت عصبيتهم على عصبية قريش، إلا ما بقي بالحجاز في مكة، وينبع بالمدينة من الطالبين من بني حسن وبني حسين، وبني جعفر، وهم منتشرون في تلك البلاد، وغالبون عليها، وهم عصائب بدوية متفرقون في مواطنهم وإماراتهم وآرائهم، يبلغون آلافاً من الكثرة، فإن صح ظهور هذا المهدي، فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم، ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه حتى تتم له شوكة وعصبية وافية بإظهار كلمته، وحمل الناس عليها، وأما على غير هذا الوجه مثل أن يدعوا فاطمي منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير عصبية، ولا شوكة إلا مجرد نسبة في أهل البيت، فلا يتم ذلك، ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين الصحيحة، انتهى.

أقول: لا شك في أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام لما تواتر من الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأمة سلفاً عن خلف، إلا من لا يعتد بخلافه، وليس القول بظهوره بناء على أقوال الصوفية ومكاشفاتهم، أو أهل التنجيم، أو الرأي المجرد، بل إنما قال به أهل العلم لورود الأحاديث الجمة في ذلك، فقول ابن خلدون: فإن صح ظهوره، لا يخلو عن مسامحة[١] ونوع إنكار من خروجه، وتلك الأحاديث واردة عليه، وليست بدون من الأحاديث التي ثبتت بها الأحكام الكثيرة المعمول بها في الإسلام، وما ذكر من جرح الرواة وتعديلهم يجري في رجال الأسانيد الأخرى أيضاً بعينه أو بنحوه، فلا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود المنتظر المدلول عليه بالأدلة، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حد التواتر، وأما أنه لا تتم شوكة أحد إلا بالعصبية فنعم، ولكن الله تعالى قادر على خرق العادة، ويؤيد دينه كيف يشاء. وهذا الاحتمال وإن كان مطابقاً لما في الخارج فلا يصلح لأن ترد به الأحاديث النبوية، فهذا زلة صدرت من ابن خلدون –رحمه الله تعالى– وليست من التحقيق في صدر ولا ورد فلا تغتر به،

---

(١) كيف لا وهو قد صحح بعض أحاديثه .

واعتقد ما جاء عن رسول الله ﷺ، وفوض حقائقه إليه تعالى تكن على بصيرة من أمر دينك.

قال شيخ العلامة محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي في كتابه: « لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية » وقد روى عمن ذكر من الصحابة وغير ما ذكر منهم بروايات متعددة، وعن التابعين ومن بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة، ونقل العلامة الشيخ المرعي في كتابه «فوائد الفكر» عن محمد بن الحسين أنه قال: قد تواترت الأحاديث واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته ﷺ، انتهى.

وجملة القول في المهدي أنه من ولد فاطمة من أولاد الحسن عليه السلام وقيل: من نسل الحسين، وقيل من ولد عباس، والأول أصح[1]، وقال بعض حفاظ الأمة وأعيان الأئمة: أن كون المهدي من ذريته ﷺ مما تواتر عنه فلا يسوغ العدول والالتفات إلى غيره. قال ابن حجر: يمكن الجمع بأن ولادته العظمى من الحسن، أو الحسين، وللآخر فيه ولادة من جهة بعض أمهاته، وكذلك للعباس ولادة أيضاً، ولا مانع من اجتماع ولادات متعددات في شخص واحد من جهات مختلفة، واسمه محمد أو أحمد والأول أشهر واسم أبيه عبد الله.

قال في اللوامع: ولم نقف على اسم أم المهدي بعد الفحص والتتبع، انتهى.

وإنما سمي المهدي؛ لأنه يهدي إلى أمر خفي، وسيرته العمل بكتاب الله وسنة رسوله ولا يقلد أحداً، بل يشتد غضبه على المقلدين، قال السفاريني في اللوامع: يقاتل على السنة لا يترك سنة إلا أقامها، ولا بدعة إلا رفعها، يقوم بالدين آخر الزمان، كما قام به النبي ﷺ أوله، انتهى.

---

(١) لم يصح حديث في كونه من العباس بل هو من ولد فاطمة ولم يرد في خبر صحيح أنه من أي ولديها الحسن أم الحسين ؟ لكن الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية أنه من ولد الحسن .

وزاد في الفتوحات: أعداؤه المقلدة، وأما مدته فاختلفت الروايات فيها، ففي بعضها يملك خمساً أو سبعاً أو ستاً بالترديد، وفي بعضها تسعة عشر سنة وأشهر، أو في بعضها عشرين، وفي بعضها ثلاثين، وفي بعضها أربعين، منها تسع سنين يهادن الروم فيها.

قال السفاريني: ويمكن الجمع على تقدير صحة الكل بأن ملكه متفاوت الظهور والقوة فيحمل الأكثر باعتبار جميع مدة الملك منذ البيعة، والأقل على غاية الظهور، والأوسط على الأوسط، انتهى.

وقواه في «الإشاعة»، وعندي أن الأصح من ذلك ما ورد في الأحاديث الصحيحة، والله أعلم، وله أمارات يعرف بها ذكرها في «الإشاعة»، وعلامات جاءت بها الآثار، ودلت عليها الأحاديث والأخبار ذكرها الشيخ مرعي في «فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر».

باب في الفتن الواقعة قبل خروجه

منها حسر الفرات عن جبل من ذهب، وخسف بالبيداء.

وفي كل ذلك أخبار وآثار ثابتة ذكرناها في «حجج الكرامة»، وذكرها السيد محمد في «الإشاعة» مبسوطة مفصلة فيه، طوبى لمن أدركه، وكان من أنصاره، والويل كل الويل لمن خالفه، وخالف أمره.

وقال الإمامية: إن المهدي وهو محمد بن الحسن العسكري، وهو دعوى بلا دليل.

وقال السفاريني: ذلك ضرب من الجنون والهذيان، ثم ردها عليهم رداً بالغاً، وقال: فعلى عقولهم العفار، وعلى أفهامهم البوار، ما أضل علومهم وأبلد فهومهم، انتهى.

وادعى محمد بن تومرت الظالم المتغلب أنه المهدي كذا قال في «الإشاعة»، وذكر الشيخ علي المتقي في رسالته: أن في زمانه خرج رجل بالهند ادعى أنه المهدي المنتظر، واتبعه خلق كثير، انتهى.

قلت: وهذا هو السيد محمد الجونفوري الذي تقدم ذكره.

قال: وظهر بجبال شهروز، بقرية أزمك رجل يسمى "محمداً" وادعى أنه المهدي.

وظهر رجل بجبال عقر، أو العمادية، ويسمى عبد الله وادعى المهدوية، انتهى.

قلت: وادعى جماعة من المشايخ والصوفية أنهم المهدويون، ثم تابوا عن هذه الدعوى المنتنة، فهؤلاء الذين ادعوا المهدوية بالباطل، واتبعهم بعض السفهاء، وحصلت منهم فتن ومفاسد كثيرة في الدين، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في «حجج الكرامة»، فلا نطول بذكرها هنا[1].

---

(١) وكذا في زماننا فقد ادعاها جماعة من البله وأجلبوا على الناس فتناً وشروراً نعوذ بالله من الخذلان.

باب في خروج الدجال

وما أدراك ما الدجال؟! منبع الكفر والضلال، وينبوع الفتن والأوجال.

والأحاديث الواردة فيه كثيرة جداً ذكر منها الشوكاني في التوضيح مائة حديث، وهي في الصحاح والسنن، والمعاجم والمسانيد.

قال: وليس المراد هنا إلا بيان كون أحاديث خروج الدجال متواترة، والتواتر يحصل ببعض ما سقناه، وقد بقيت أحاديث وآثار عن جماعة من الصحابة تركنا ذكرها ووقفنا على هذه المائة التي أشرنا إليها وإلى من خرجها، انتهى.

وقال في «الإشاعة»: وأخبار الدجال تحتمل مجلدات أفردها غير واحد من الأئمة بالتأليف، انتهى.

قال والكلام عليه يأتي في مقامات: في اسمه، ونسبه، ومولده، وحيلته، وصورته، وفتنه، ومحل خروجه، ووقته، ومدته، وكيف النجاة منه، ومن يقتله، ثم بسط في بيان ذلك كما بسطنا في «حجج الكرامة».

قال السفاريني: وقد أنذرت به الأنبياء قومها وحذرت منه أممها، ونعتته بالنعوت الظاهرة، ووصفته بالأوصاف الباهرة، وحذر منه المصطفى وأنذر، ونعته لأمته نعوتاً لا تخفى على ذي بصر. انتهى.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال» رواه مسلم[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: « ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها، لم تكن آمنت من قبل: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها» رواه الترمذي[٢] وصححه.

ومن دعواته ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»[٣].

---

(١) (٢٢٦٦/٤).

(٢) (٢٦٤/٥) قلت : ورواه مسلم (١٣٨/١) فالعزو إليه أولى .

(٣) رواه البخاري (٢٨٦/١) ومسلم (٤١٢/١).

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: « عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح قسطنطينية خروج الدجال » رواه أبو داود[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « بادروا بالأعمال ستاً: الدخان، والدجال، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم » رواه مسلم[٢].

وعن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله لا يخفى عليكم أن الله تعالى ليس بأعور وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية» متفق عليه[٣].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من نبي إلا قد أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف ر » أخرجه الشيخان[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدث به نبي قومه إنه أعور، وإنه يجيء معه بمثل الجنة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة، هي النار، وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه » متفق عليه[٥].

وعن أنس عن رسول الله ﷺ قال: « يتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة » رواه مسلم[٦].

وعن المغيرة بن شعبة قال: ما سأل أحد رسول الله ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته وإنه قال لي: « ما يضرك؟ قلت: إنهم يقولون: إن معه جبل خبز ونهر ماء، قال: هو أهون على الله من ذلك » أخرجه الشيخان[٧].

---

(١) (٤/١١٠).

(٢) (٤/٢٢٦٧).

(٣) البخاري (٦/٢٦٩٦) ومسلم (١/١٥٥).

(٤) البخاري (٦/٢٦٩٦) ومسلم (٤/٢٢٤٨).

(٥) البخاري (٣/١٢١٥) ومسلم (٤/٢٢٥٠).

(٦) (٤/٢٢٦٦).

(٧) البخاري (٦/٢٦٠٦) ومسلم (٣/١٦٩٣).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ: « الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر، معه جنته وناره، فناره جنة وجنته نار » رواه مسلم[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا: « يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، فيقول له : أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال: فيقتله ثم يحييه، فيقول الرجل حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن، قال: فيريد الدجال أن يقتله؛ فلا يسلط عليه » أخرجه الشيخان[2].

وفي الباب أخبار صحيحة في الصحيح وغيره بألفاظ.

وأما حديث فاطمة الذي هو عمدة الباب، وأشهر ما اشتهر من هذا الحديث، فأخرجه مسلم في صحيحه[3]، وأبو داود بمعناه، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح[4].

والأحاديث في أحوال الدجال لا تكاد تنحصر كما أشرنا إلى ذلك، – وهو غير ابن صياد الذي ولد في المدينة –، ولقبه المسيح؛ لأن عينه اليسرى ممسوحة، أو يمسح الأرض أي: يقطعها، قال المجد في القاموس: اجتمع لنا في سبب تسميته بالمسيح خمسون قولاً. انتهى.

وصفته الدجال من الدجل، وهو الخلط واللبس والخدع، فهو الخداع الملبس على الناس.

وذكر البغوي[1] أن المراد بالناس في قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر:٥٧] الدجال، من إطلاق الكل على البعض، وحليته أنه رجل

---

(١) (٢٢٤٨/٤).

(٢) البخاري (٦٦٥/٢) ومسلم (٢٢٥٦/٤).

(٣) (٢٢٦٢/٤).

(٤) أبو داود (١١٨/٤) والترمذي (٥٢١/٤) وابن ماجه (١٣٥٤/٢).

شاب، وفي رواية شيخ، قال السفاريني: وسندهما صحيح، انتهى، جسيم أحمر أو أبيض أمهق، وفي رواية: "آدم قصير أفحج، جعد الرأس قطط، أعور العين اليمنى، كأنها عنبة طافية، وفي رواية: "مطموس العين، متباعد ما بين الساقين"، وفتنه كثيرة لا تكاد تنحصر، منها في صحيح مسلم معه جنة ونار، وفي الباب أخبار كثيرة، وذكر غير واحد من أهل العلم أن الذي معه من الجنة والنار على طريق التخييل دون الحقيقة، ومنهم ابن حبان وتدل له أحاديث، وقال جماعة منهم ابن العربي: هي على ظاهره امتحاناً من الله تعالى لعباده. وقال في «الإشاعة» كالعلامة الشيخ مرعي: التحقيق، الأول والله أعلم.

ومنها أنه تطوى له الأرض منهلاً منهلاً طي فروة الكبش وأنه يسيح الأرض كلها في أربعين يوماً وما من بلد إلا وسيطأها إلا مكة والمدينة، كما ورد بذلك أحاديث، وسرعته في السير كالغيث استدبرته الريح، وقال بعض الناس: كأنه يسيح على هذه العجلة الدخانية الحادثة في هذا الزمان، وهذا القول ليس عليه أثارة من علم، فإن السياحة خارقة للعادة؛ لأنها نوع من أنواع جر الثقيل، وسياحته تكون خرقاً للعادة، والله أعلم.

ومنها أنه يخرج في خفة من الدين وإدبار من العلم، رواه أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم عن جابر مرفوعاً[٢]، قال السفاريني: فينبغي لكل عالم ولا سيما في زماننا هذا الذي عمت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن، وصارت فيه السنة كالبدعة والبدعة شرعاً يتبع، ولا حول ولا قوة إلا بالله أن يشيع حديثه، ويكثر خبره في الناس، انتهى.

ومنها أنه يمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك؛ فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل رواه مسلم[٣].

---

(١) في تفسيره (١٠١/٤).

(٢) أحمد (٣٦٧/٣) وابن خزيمة في التوحيد (٣١) والحاكم (٥٧٥/٤) وإسناده ضعيف قاله شيخنا في قصة المسيح (٧١) قلت: لكن هذا القدر منه له شاهد من حديث حذيفة بن أسيد رواه الحاكم.

(٣) (٢٢٥٣/٤).

ومنها أن قبل خروجه ثلاث سنوات شدائد يصيب الناس فيها جوع شديد إلى غير ذلك مما ذكره في «الإشاعة» وغيرها، وكل ذلك مستفاد من الأحاديث الواردة في هذا الباب.

ومحل خروجه المشرق جزماً كما قاله الترمذي في «الديباجة»، وابن حجر في «الفتح»[١]، وفي رواية "يخرج من أصفهان" أخرجه مسلم[٢].

وفي أخرى من خراسان، ووقته بعد فتح القسطنطينية، ومدته أربعون لا شطط ولا كسر كما أخرج مسلم عن ابن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: « يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوماً أو شهراً أو عاماً ، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه»[٣] الحديث.

وأما كيفية خروجه، فالروايات فيه مختلفة، وأبسط حديث فيه حديث النواس بن السمعان عند مسلم في صحيحة، وحديث أبي أمامة عند ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء، وحديث أبي سعيد عند مسلم، وعند البخاري معناه، وساق في «الإشاعة» هذه الأحاديث مساقاً واحداً وجمع بين اختلافها بحسب الإمكان فراجعه[٤]، ولا نجاة منه إلا بالعلم والعمل، أما العلم، فبأن يعلم أنه يأكل ويشرب ثم أنه لخسته وعجزه أعور، وأن الله منزه عن ذلك وهذه كلها لا تجوز عليه سبحانه، وأما العمل؛ فبأن يلتجئ إلى أحد الحرمين أو إلى المسجد الأقصى، أو إلى مسجد طوى، وبأن يقرأ عشر آيات من أول سورة "الكهف" أخرجه مسلم، وبأن يهرب منه في الجبال والبراري، وقاتله عيسى عليه السلام كما مر.

قال المحاربي: ينبغي أن يدفع حديث الدجال إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكُتّاب انتهى.

وقد ورد أن من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر، والله أعلم بالصواب.

---

(١) (١٣/ ٩٩).

(٢) قال شيخنا في قصة المسيح (١٣٠): (وأما قول الحافظ في الفتح (١٣/ ٩٩) : يخرج من أصبهان أخرجها مسلم. ففيه نظر لأنه ليس في مسلم أنه يخرج منها وإنما فيه من حديث أنس : يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً ...).

(٣) (٤/ ٢٢٥٩).

(٤) قلت : وقد جمع شيخنا جميع رواياته وتكلم عليها بما لا تراه في كتاب وسماه ((قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه على سياق رواية أبي أمامة مضافاً إليه ما صح عن غيره من الصحابة)).

باب في نزول عيسى بن مريم عليهما السلام

وهو من الأشراط القريبة من خروج المهدي، ونزوله ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة :

أما الكتاب: فقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء:١٥٩]، أي: موت عيسى، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان، حتى تكون الملة واحدة ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً، ونوزع في الاستدلال بهذه الآية الكريمة، وأن الضمير في موته لليهودي، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف:٦١].

وأما السنة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها » أخرجه الشيخان[١].

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: ألا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة » رواه مسلم[٢].

وعند أحمد وابن أبي شيبة وأبي داود وابن جرير وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنه يمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه»[٣].

والأحاديث في نزوله عليه السلام كثيرة، ذكر الشوكاني منها تسعة وعشرين حديثاً، ما بين صحيح وحسن وضعيف منجبر، ثم قال: منها ما هو مذكور في أحاديث الدجال التي تقدم بعضها، ومنها ما هو مذكور في أحاديث المنتظر، وتنضم إلى ذلك أيضاً الآثار الواردة عن الصحابة فلها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في ذلك، ثم ساقها ثم قال: وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع، فتقرر

---

(١) البخاري (١٢٧٢/٣) ومسلم (١٣٥/١).

(٢) (١٣٧/١).

(٣) أحمد (٤٠٦/٢) وأبو داود (١١٧/٤) وابن حبان (٢٣٣/١٥) وابن أبي شيبة (٤٩٩/٧) وابن جرير في تفسيره (٢٣/٦).

أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، والأحاديث الواردة في الدجال متواترة، والأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم متواترة. انتهى.
وأما الإجماع: فقال السفاريني في «اللوامع »: قد اجتمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة به، وهو متصف بها، انتهى.
قال في «الإشاعة»: والكلام عليه في مقامات: في حليته، وسيرته، ووقت نزوله، ومحله، وما يجري على يديه من الملاحم، ومدته، وموته.
فاسمه ونسبه ومولده كل ذلك معلوم من القرآن.
وأما حليته؛ فعند البخاري[1] وغيره: "أنه أحمر أجعد عريض الصدر من آدم الرجال سبط الشعر، ينطف، أي يقطر له لمة قد رجلها، مربوع الخلق، سبط الرأس كأنما خرج من ديماس".
وأما سيرته؛ فإنه يدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، ويتحد الدين فلا يعبد إلا الله، ولا يرغب في اقتناء المال للعلم بقرب الساعة، ويكون مقرراً للشريعة المحمدية، لا رسولاً إلى هذه الأمة، وتظهر الكنوز في زمنه، ويرفع الشحناء والتباغض، وينزع الله سم كل ذي سم حتى تلعب الأولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم، ويملأ الأرض سلماً، وينعدم القتال، وتنبت الأرض نبتها كعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب، وكذا الرمانة.
وكل ذلك مستفاد من الأخبار والآثار المستفيضة المشهورة.
وأما نزوله، فإنه ينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر

(١) (١٢٦٩/٣) ومسلم أيضاً (١٥٤/١).

يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه. أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان[1].

ثم يخرج بمن معه من أهل دمشق في طلب الدجال، فيقتله بباب لد، عند بيت المقدس، ولد بوزن مد، بلد مشهور بينه وبين رملة فلسطين مقدار فرسخ إلى جهة الشمال متصل شجرها بشجرها، فيقتله هناك.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من أدرك عيسى منكم فليقرئه مني السلام » أخرجه البخاري في تاريخه والحاكم[2].

ومدته: أربعون سنة خلال هذه يخرج يأجوج ومأجوج.

قال في «الإشاعة»: وقع لبعض جهلة الحنفية أنه ادعى أن كلاً من عيسى والمهدي يقلد مذهب الإمام أبي حنيفة، ووقفت للشيخ على القاري الهروي، نزيل مكة المشرفة على تأليف سماه «المشرب الوردي في مذهب المهدي » نقل فيه هذا القول ورد عليه رداً مشبعاً وجهله[3]، انتهى.

وهذا التأليف موجود عندي، وهذا القول مردود في حق آحاد الأمة المحمدية فكيف في حق النبي والإمام، وأن الله تعالى لم يوجب على أحد من المسلمين أن يقلد دينه أحداً من الأئمة كائناً من كان وأينما كان.

إنما أوجب عليهم العمل بمقتضى الكتاب والسنة في كل زمان ومكان وقد صرح السبكي في تصنيف له أن عيسى عليه السلام يحكم بشريعة نبينا بالقرآن والسنة. انتهى.

وما قيل إنه يأخذ السنة بطريق المشافهة أو بطريق الوحي والإلهام، فلم يأت في ذلك شيء يصار إليه.

---

(١) (٢٢٥٣/٤).

(٢) الحاكم (٥٨٧/٤).

(٣) قلت : ولما قام شيخنا الألباني بمثل ما قام به هذا الإمام وعلق على مختصر صحيح مسلم بأن عيسى لا يحكم بالإنجيل ولا بالمذهب الحنفي ثار المقلدة وزعموا أنه يساوي بين الإنجيل والمذهب الحنفي وانظر تفصيل ورد هذه الفرية في الكتاب المذكور .

وقال السفاريني: ويكون قد علم أحكام هذه الشريعة بأمر الله تعالى وهو في السماء قبل أن ينزل، وهذا أولى من الأول، قال: والكلام على المهدي، والدجال، وعيسى بن مريم طويل شهير أفردت في ذلك الكتب المبسوطة والمختصرة، وذكرنا في كتابنا «البحور الزاخرة» من ذلك طرفاً صالحاً، يغني من أحصاه علماً عن مراجعة أكثر كتب هذا الباب. انتهى.

وفي الحديث المرفوع: « وتسلب قريش ملكها »[1] قال السخاوي في «القناعة» وابن حجر المكي في «القول المختصر»: معنى ذلك لا يبقى لقريش اختصاص بشيء دون مراجعته، فلا يعرض ذلك خبر: « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان»[2].

قال السفاريني: فإن قلت: كيف يصح هذا الخبر مع مشاهدتنا انفصال قريش عن الملك منذ أزمان؟

فالجواب استحقاقها لهذا الأمر، وإن ظلمها ظالم، وأما عيسى فيظهر كمال العدل، فلا يأخذ حقهم، وربما أن يكون بقاء الأمر في قريش ولو مراجعة، ولا شك أن قريشاً يراجعون على أن ملوك زماننا يزعمون أنهم إنما يتملكون بالنيابة عن قريش، ويعملون صورة نيابة عن نقيب السادة الأشراف على أن لبني هاشم استقلالاً بالأمر في محلات كالحجاز واليمن والمغرب وغيرها.

ثم إنه لا يخفى أنه لا يحسن أن يقال: إن في الأمر في أيام عيسى يكون للمهدي مع كون عيسى رسولاً من أولي العزم معصوماً، والمهدي رجل مجتهد.

نعم يكون المهدي من خواص السيد عيسى، بل وزيره والمقرب لديه يراجعه في الأمور وتصدر عنه الشورى، وبالله التوفيق. انتهى.

---

(١) ابن ماجه (١/٥٨١).

(٢) البخاري (٣/١٢٩٠) ومسلم (٣/١٤٥٢).

فإياك والاغترار بمثل هذه الترهات الباطلة، وعليك باتباع السنة الغراء؛ فإنها حرز وحصن من الأهواء، وجنة من الشيطان المريد والآراء، وبالله التوفيق، وبيده أزمة التحقيق.

باب في خروج يأجوج ومأجوج وغيرها

وهو من الأشراط العظيمة التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب؛ فقال تعالى: ﴿يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف:٩٤].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء:٩٦].

وأما السنة؛ فقال رسول الله ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى بن مريم، وظهور المهدي، وثلاث خسوفات، ونار تخرج من قعر عدن أبين » رواه ابن ماجه[1]، عن حذيفة بن أسيد.

والأحاديث الواردة فيهم كثيرة، والكلام عليهم في مقامات: في نسبهم، وحليتهم، وسيرتهم، وخروجهم، وإفسادهم، وهلاكهم.

وجملة القول في ذلك: أنهم من بني آدم، ثم من بني يافث بن نوح، وذكر ابن عبد البر الإجماع عليه، وقيل: من الترك، وقيل: من الديلم، قال الحافظ بن حجر في «الفتح»[2]: والأول هو المعتمد.

وفي خروجهم وفتنتهم حديث النواس عند مسلم بروايات وألفاظ، ولم يأت في مدة مكثهم في الأرض وقدر أعمارهم شيء، بل ظاهر الأحاديث أنهم بمجرد أن يتوسطوا الأرض ويقربوا بيت المقدس، يقتلهم الله بالنغف، أي: الدود الذي يدخل آنافهم، ثم بعد ذلك يموت عيسى عليه السلام، وهم من جملة الأشراط التي اشتملت عليها قصة عيسى عليه السلام.

---

(١) (١٣٤٧/٢).

(٢) (١٠٦/١٣).

ومنها قتال اليهود، ومطر لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، وانقطاع الجهاد، وكثرة المال وكون رأس الثور بالأوقية، ونشوف بحيرة طبرية يشربها يأجوج ومأجوج، ورخص الخيل، ونزول البركات، ولذلك تفاصيل لا يحتملها هذا المختصر.

ومن الأشراط: خراب المدينة قبل يوم القيامة، وخروج أهلها منها؛ وفي هذا أحاديث في السنن وغيرها، بألفاظ ذكرها في «الإشاعة».

ومنها خروج القحطاني وجهجاه، وحديث القحطاني وجهجاه في الصحيحين وغيرهما.

ومنها هدم الكعبة وسلب حليها، وإخراج كنزها على يد ذي السويقتين من الحبشة، كما عند الشيخين وغيرهما، وهو في زمن عيسى أو عند قيام الساعة على اختلاف الروايات في ذلك، والثاني أرجح، وقيل هدمها بعد خروج الدابة، وقيل: بعد الآيات كلها وقواه السفاريني، وقال: ويؤيد هذا أن زمن عيسى كله زمن سلم وبركة وأمان وخير، وهذا أليق بكرم الله تعالى، والذي تقتضيه الحكمة، فإن البيت قبلة الإسلام، والحج إليه أحد أركان الدين ومبانيه، فالحكمة تقتضي بقاءه ببقاء الدين، فإذا جاء الريح الباردة الطيبة، وقبضت المؤمنين، فبعد ذلك يهدم البيت، ويرتفع القرآن. انتهى. ويستفاد من كلام الشيخ مرعي أيضاً في بهجته كذلك، فبان أن هدم الكعبة بعد الآيات كلها وإن كان لا يخلو من تأمل، وقصة الهدم ذكرها الأزرقي في تاريخه، والحاكم في المستدرك وصححها، وفيها تفصيل ذكره السفاريني في «اللوامع»، والسيد محمد في «الإشاعة» وغيرهما في غيرهما، والذي ورد منه في الصحيحين يغني عن غيرهما.

باب طلوع الشمس من مغربها

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [إبراهيم:٣٣]، وقال: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]، قال أهل العلم: طلوع الشمس من الأفق الغربي ثابت بالسنة الصحيحة، والأخبار الصريحة، بل وبالكتاب المنزل على النبي المرسل.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨].

أجمع المفسرون أو جمهورهم على أنه طلوع الشمس من مغربها وقال تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة:٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا جميعاً؛ فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها » أخرجه الشيخان[1] والبيهقي وابن مردويه وأبو الشيخ.

وأخرج أحمد وابن حميد ومسلم والحاكم وابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله، أن النبي ﷺ قال: « بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان »[2] إلخ.

وعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ: « أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها » أخرجه مسلم في صحيحه[3].

وأخرج الطبراني من حديث مالك بن يخامر عن معاوية، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم رفعوه: « لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت طبع الله على كل قلب بما فيه »[4] وكف الناس من العمل، والأحاديث في الباب كثيرة لا يتسع المقام لذكرها.

---

(١) البخاري (٢٣٨٦/٥) ومسلم (١٣٧/١).

(٢) مسلم (٢٢٦٧/٤).

(٣) (٢٢٦٠/٤).

(٤) الطبراني في الكبير (٣٨١/١٩).

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»[1]: الذي دلت عليه الأحاديث الثابتة الصحاح والحسان أن قبول التوبة مغياً لطلوع الشمس من مغربها، ومفهومها أن بعد ذلك لا تقبل، بل في بعض الروايات التصريح بعدم القبول كما عند أحمد والطبراني وغيرهما، ثم ذكر أخباراً وآثاراً.

وقال: هذه آثار يشد بعضها بعضاً متفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك، ولا يختص ذلك بيوم طلوعها، بل يمتد إلى يوم القيامة، انتهى.

وورد في بعض الروايات أن أول الآيات خروج الدجال، وفي بعضها أن أولها طلوع الشمس من مغربها، وفي بعضها الدابة، وفي بعضها نار تحشر الناس إلى محشرهم، وطريق الجمع، كما قال الحافظ[2]: إن الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، فلا ينافي تقدم المهدي عليه، وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، ومن بعده من القحطاني وغيره، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، والدابة معها فهي والشمس كشيء واحد، وأن النار أول الآيات المؤذنة بقيام الساعة، انتهى.

قال في «الإشاعة»: وهذا جمع حسن، ويدل على ذلك ما في بعض الروايات: "وآخر ذلك"، يعني نار تحشر الناس إلى محشرهم، انتهى.

قال الشيخ مرعي: وهذا كلام في غاية التحقيق، انتهى.

وقال السفاريني: والذي يظهر والله أعلم أن أول الآيات خروج المهدي، ثم الدجال، ثم نزول عيسى، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم هدم الكعبة، ثم الدخان، ثم ارتفاع القرآن، ثم طلوع الشمس من مغربها.

---

(١) (١٣/٣٥٥).

(٢) في الفتح (١١/٣٥٣).

ويحتمل أن طلوع الشمس متقدم على رفع القرآن، وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها في يومها أو قريباً منها، وهذا هو النسق الذي مشينا عليه واخترناه. انتهى.
والحاصل أن الأولية إضافية لا حقيقية.

وقال الحافظ العلامة عبد الرحمن بن عبد القادر الهاشمي -رحمه الله تعالى- في جواب سؤال عنه ما لفظه: الآيات التي بين يدي الساعة أولها على الحقيقة، كما جاء في حديث الحاكم والبيهقي وأفتى به الحافظ ابن حجر العسقلاني، وتبعه الحافظ السخاوي وغيره، خروج الدجال، ثم نزول عيسى بن مريم، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم تطلع الشمس من مغربها، ولا تزال طالعة ذلك اليوم إلى أن تصل كبد السماء، ثم تزول وتعود إلى المغرب، أي من مطلعها ويطلع بعد ذلك اليوم من المشرق كعادتها، ثم تخرج الدابة، كما قال الحاكم، ويكون خروجها ضحى.

وكما في صحيح مسلم.

قال الحافظ بن حجر العسقلاني -رحمه الله تعالى- وتبعه السخاوي: والحكمة في ذلك أن بطلوعها من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة، وفي طلوعها من المغرب رد على أهل الهيئة، ومن وافقهم أن الشمس وغيرها من الفلكيات بسيطة ولا تختلف مقتضياتها، ولا يتطرق إليها تغيير عما هي عليه.

قال الكرماني: وقواعدهم منقوصة ومقدماتها ممنوعة، وعلى تقدير تسليمها فلا امتناع من انطباق منطقة البروج على المعدل بحيث يصير المشرق مغرباً والمغرب مشرقاً. انتهى[1].

وقال الحليمي: إن أول الآيات الدجال، ثم نزول عيسى؛ لأن طلوع الشمس من مغربها لو كان قبل نزول عيسى لم ينفع الكفار إيمانهم في زمانه، ولكنه ينفعهم إذ لو لم ينفعهم لما صار الدين واحداً بإسلام من أسلم منهم.

---

(١) الفتح (٣٥٦/١١).

قال البيهقي: وهو كلام صحيح لو لم يعارضه الحديث: « إن أول الآيات طلوع الشمس من المغرب»، وفي حديث ابن عمرو: « طلوع الشمس وخروج الدابة»[1] وفي حديث أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه الجزم بهما وبالدجال في عدم نفع الإيمان.

قال البيهقي: إن صح في علم الله أن طلوع الشمس يكون سابقاً، احتمل أن يكون المراد نفع أنفس أهل القرآن الذين شاهدوا ذلك فإذا انقرضوا وتطاول الزمان وعاد بعضهم على الكفر عاد تكليف الأيمان بالغيب، وإن كان في علم الله طلوع الشمس بعد نزول عيسى احتمل أن يكون المراد بالآيات في حديث ابن عمر آيات أخرى غير خروج الدجال، ونزول عيسى، إذ ليس في الخبر نص أنه يتقدم عيسى.

قال الحافظ ابن حجر[2]: وهذا الثاني هو المعتمد والأخبار الصحيحة تخالفه.

وعند مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه »[3] ومفهومه أن من تاب بعد ذلك لا تقبل توبته، ولأبي داود والنسائي[4]: « لا تزال تقبل التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » وسنده جيد، وهو من حديث معاوية رضي الله تعالى عنه مرفوعاً.

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٦٠).

(٢) في الفتح (١١/٣٥٤).

(٣)(٤/٢٠٧٦).

(٤) أبو داود (٣/٣) والنسائي في الكبرى (٥/٢١٧) ولفظه : (لا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها).

باب في دابة الأرض

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ [النمل:٨٢]، أي: تكلم المؤمن والكافر.

وجزم البيضاوي أنها الجساسة، وقيل: غيرها، والكلام في حليتها وسيرتها وخروجها ذكرناه في ((حجج الكرامة))، وذكره في ((الإشاعة)) أيضاً، وكله مستفاد من الأحاديث والآثار.

باب ومن أشراط الساعة الدخان

وهو بعد دابة الأرض، قال العلماء: آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة، وأما الكتاب؛ فقوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾[١] [الدخان: ١٠].

قال ابن عباس[٢]، وابن عمر، وعلي وغيرهم: "هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين".

وأما السنة؛ فكثيرة.

---

(١) ذهب ابن مسعود إلى أن هذه الآية وقعت والنبي ﷺ بمكة كما صح عنه في صحيح البخاري وأما الأحاديث الصحيحة والآثار التي فيها ذكر الدخان فهو محمول على غير هذه الآية وهو دخان آخر من أمارات الساعة وأشراطها.

(٢) وإسناده صحيح عن ابن عباس كما قال ابن كثير.

باب ومنها ريح طيبة

تقبض روح كل مؤمن في قلبه مثقال حبة من إيمان، ويبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم، وتأتي من قبل الشام، أو من اليمن، وقيل: هما ريحان شامية ويمانية[1]، ثم يبقى شرار الناس حتى لا يقال في الأرض: "لا إله إلا الله" وعليهم تقوم الساعة.

(١) وقد صح الحديث عند مسلم : ((أن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير ...)) وعند أحمد: ((ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام)).

باب ومنها أن يرفع القرآن من المصاحف والصدور

وهو من أشد معضلات الأمور قال في «البهجة»: قرار الأئمة أنه يرفع أولاً من المصاحف، وذلك أنهم يبيتون فيصبحون وليس فيها حرف مكتوب، ثم يرفع من الصدور عقب ذلك. انتهى.

وفي الباب أخبار وآثار.

ومنها أن تهدم الكعبة، ويتقارب الزمان، ويقصر الأيام بحيث تكون السنة كالشهر كما في حديث أبي هريرة عند مسلم[1].

(١) قلت: وهم المصنف في عزوه الحديث لمسلم بهذا التمام وإنما عند مسلم تقارب الزمان دون قوله يكون الشهر ... والصواب أن الحديث رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي من حديث أنس.

باب وآخر الآيات العظام نار

تخرج من قعر بئر عدن، تحشر الناس إلى محشرهم كما في حديث أنس عند أحمد والبخاري[1].

وعن ابن عمر: « ستخرج نار من حضرموت، أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس، قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام » أخرجه أحمد والترمذي، وقال: حسن صحيح[2].

وقال في «الفتح»[3]: ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها. انتهى.

وهذا الحشر أي: حشر النار الناس أحياء إلى الشام، يكون قبل يوم القيامة، قاله القرطبي والخطابي وصوبه القاضي عياض، وأما الحشر من القبور على ما في حديث ابن عباس مرفوعاً كما في الصحيحين وغيرهما: « تحشرون حفاة عراة غرلاً »[4] هو يوم القيامة قاله الحكيم الترمذي والغزالي والحافظ ابن حجر والتوربشتي.

قال الطيبي: وهو الحق الذي لا محيد عنه.

وقال في «الإشاعة»: فثبت أن الحق أن النار قبل يوم القيامة. قال السفاريني: قلت: وهو كما قال. انتهى.

ثم ينفخ في الصور النفخة الأولى، فيموت كل الخلق، ويمكثون أربعين عاماً كما في الصحيحين، ثم ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الخلق للعرض والحساب، ثم يقال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون، نسأل الله العفو والعافية في الدارين، هذا زبدة ما مخضه المتقدمون، وثمرة ما غرسه المتأخرون، وقد عزونا كل

---

(١) قلت: الذي عند البخاري من حديث أنس بلفظ : « أول أشراط الساعة نار تخرج تحشر الناس من المشرق إلى المغرب » وروى مسلم من حديث حذيفة بت أسيد : « وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم ».

(٢) أحمد (٢/٦٩) والترمذي (٤/٤٩٨).

(٣) (١١/٣٧٨).

(٤) البخاري (٣/١٢٧١) ومسلم (٤/٢١٩٤).

قول لقائله، وكل حديث لناقله غالباً؛ ليعلم من أمعن النظر وأنعم الفكر فيما حررته أنه ما ثبت في هذا الباب، ونطقت به نصوص السنة وأدلة الكتاب.

خاتمة

فيما اشتهر بين الناس أن مقدار الدنيا سبعة آلاف سنة

اعلم أن مقدار الدنيا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ولم يرد نص من كتاب ولا سنة في بيان ذلك، ووردت أخبار وآثار، وما يحصل بها جزم بأنه قدر معين،
والحق الذي يحق للاتباع أن أمر الساعة مما استأثر بعلمه سبحانه وتعالى، ولم يعلمها أحداً من خلقه، وهو الأمور الخمسة التي لا يعلمها أحد إلا الله تعالى.
قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان:٣٤]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف:٦٦]، وقال: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨]، وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣]، وقال: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١]، إلى غير ذلك من الآيات.
وأما الأحاديث فلا تكاد تنحصر، وقد تقدم بعضها.
نعم جاءت الأشراط كلها ولم يبق منها إلا الكبرى التي أولها خروج المهدي، ثم تتبع ذلك بقيتها، وتأذن للدنيا بالفناء، وإلى الله ترجع الأمور.
وقد أحاطت هذا الزمان وأهله فتن كثيرة لا تحصى خصوصاً ذهاب دولة الإسلام وحكومة الإيمان، وغربة الدين، وفشو البدع والمضلين، وقلة العلم، وكثرة الجهل، وإيثار الخلق على الحق، والعاجلة على الآجلة، وترك الغزو، والقنوع بما في أيدي الناس، والانهماك في أمر المعاش، والإعراض عن الميعاد، وكثرة التحاسد والمفاسد التي أسرت أفراح القلوب، وشفت قلوب المؤمنين قبل الجيوب.
فأصبحوا في حال يعدون المنايا أمانيا، ويرون — لضعف الدين وهن اليقين الموت — طبيباً شافياً إذا عثرت خيول الفتن والنقم، وولت جنود الدعة والنعم، وصار الدنيا كلها آفات وبلايا وكم في الزوايا مِنْ رزايا.
وللسيد يحيى القرطبي رحمه الله تعالى قصيدة نعى بها الإسلام، ونادى ملوك الروم، وعلمائها الأعلام، وذلك في عهد السلطان "سليمان" الذي دخل في خبر كان، فلم

يجد بها صفياً يقول له: لقد أسمعت لو ناديت حياً، فاستحسنت ختم هذا الكتاب بإنشاد ذلك الخطاب، ففيه عبرة لمن اعتبر وخبرة بالمبتدأ والخبر، وهي هذه:

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصانُ هي الأمور كما
شاهدتها دُولٌوعالمَ الكون لا تبقى محاسنهُ
يُمزّقِ الدهر منها كلَّ سابغةٍ ويُنْتَضى كلُّ
سيفٍ للفناء ولو أين الملوكُ ذوو التيجان
من يمن وأين ما شاده شدّادُ من إرَمٍ
وأين ما حازه قارون من ذهب أتى على
الكل أمرٌ لا مردّ له وصار ما كان من مُلك
ومن مَلكٍ دار الزمان على دارا وقاتِلِه
كأنما الصعبُ لم يسهل له سبب فجائع
الدهر أنواعٌ منوعة وللمصائب سُلوان
يهونها دهى الجزيرةَ خطب لا عزاءَ له
فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسانُ
من سره زمن ساءتْه أزمانُ ولا يدوم على
حالٍ لها شانُ إذا نَبتْ مشرفيّاتٌ وخُرْصانُ
كان ابنَ ذي يزن والغِمدُ غَمدانُ وأينَ منهم
أكاليل وتيجانُ؟ وأين ما ساسه في الفرس
ساسان؟ وأين عادٌ وشدادٌ وقحطانُ؟
حتى قَضَوا فكأنَّ الكل ما كانوا كما
حكى عن خيال الطيف وَسنانُ وأمَّ كسرى
فما آواهُ إيوان يوماً ولم يملك الدنيا سليمانُ

وللزمانِ مسرّاتٌ وأحزانُ وما لما حلَّ
بالإسلام سُلوانُ هوى له أُحدُ وانهدَّ ثهلانُ
أصابها العين في الإسلام فامتحنت
فسل بلنسية ما شانُ مرسية وأين حمصٌ
وما تحويه من نُزَهٍ كذا طليطة دار العلوم
فكم وأين غرناطةٌ دار الجهاد وكم
وأين حمراؤها العَليا وزخرفها قواعد كنَّ
أركان البلاد فما والماء يجري بساحات
القصور بها ونهرها العذب يحكي في تسلسله
وأين جامعها المشهور كم تليت وعالمٌ كان
فيه للجهول هُدى وعابد خاضع لله
مبتهل وأين مالقة مّرسى المراكب كم وكم
بداخلها من شاعر فطن وكم بخارجها
من مَنْزهٍ فَرِجٍ وأين جارتها الزهرا وقبتها
وأين بسطةُ دار الزعفران فهل وكم
شجاعٍ زعيم في الوغى بطل كم جندلت
يدهُ من كافر فغدا ووديا من غدت بالكفر
عامرة حتى خلت منه أقطار وبلدان
وأين قرطبةٌ أم أين جيانُ؟ ونهرُها العذب
فياض وملآن؟ من فاضل قد سما فيها له

شـان أسـدٌ بهـا وَهـم في الحـرب عِقبـان؟ كأنها من جنان الخلد عدنان؟ عسى البكاء إذا لم تبـق أركـان قـد حـفّ جـدولَها زهـرٌ ورَيحـان سـيوف هنـد لهـا في الجـو لَمعـان في كـل وقـتٍ بـه آيٌ وفرقـان مـدرسٌ ولـه في العلم تبيان والدمع منه على الخدين طَوْفان أرست بساحتها فلك وغربان؟ وذي فنون لـه حـذق وتبيـان وجنـة حولهـا نهـر وبستان وأين يا قوم أبطال وفرسان؟ رأى شبيهاً لها في الحسـن إنسـان؟ بـدا لـه في العـدا فتـك وإمعـان تبكيـه مـن أرضـه أهـل وولـدان ورد توحيـدَها شـرك وطغيـان كـذا المرّيـة دار الصـالحين فكـم تبكـي الحنيفيـةُ البيضـاءُ مـن أسَـفٍ حـتى المحاريـب تبكـي وهـي جامِـدَةٌ علـى ديار مـن الإسـلام خاليـة حيـث المساجد قد أمست كنائسَ ما يا غافلاً وله في الـدهر موعظـة وماشـياً مرحـاً يلهيـه موطنـه تلـك المصـيبة أنسـت مـا تقـدمها يا راكبـين عتـاق الخيـل ضـامرةً وحـاملين سيوف الهند مرهفة وراتعين وراء النهر من دعـة أعنـدكم نبـأ مـن أمـر أنـدلس كـم يستغيث صناديد الرجال وهم ماذا التقاطع في الإسلام بينكم ألا نفوسٌ أبيَّاتٌ لها هِمَمٌ يا من لنصرة قوم قسموا فرقاً بالأمس كانوا

ملوكاً في منازلهم فلو تراهم حيارى لا دليل لهم فلو رأيت بكاهم عند بيعهم يا رب طفل وأمٍ حيل بينهما قطبٌ بها علمُ غَوْثٍ ما له شانُ كما بكى لفراق الإلف هيمانُ حتى المنابر تبكي وهي عِيدانُ قد أقفرت ولها بالكفر عمران بهنّ إلا نواقيسٌ وصلبان إن كنت في سِنة فالدهر يقظان أبعد حمصٍ تُعِزّ المرء أوطان وما لها مع طويل الدهر نسيان كأنها في مجال السبق عقبان كأنها في ظـلام الليـل نـيرانُ لهـم بأوطـانهم عـز وسلطان فقـد سـرى بحـديث القـوم ركبـان أسرى وقتلى فلا يهتز إنسان وأنتم يا عباد الله إخوان؟ أما على الخير أنصار وأعوان سطا عليهمْ بها كفر وطغيان واليوم هم في قيود الكفر عُبدان عليهم من ثياب الذل ألوان لهالكَ الأمر واستهوتك أحزانُ كمـا تفـرَّق أرواحٌ وأبـدانُ وغـادةٍ مـا رأتهـا الشـمس بارزةً يقودهـا العلـج عنـد السـبي صـاغرةً لمثل هـذا يـذوب القلـب مـن كمدٍ هـل للجهـاد بهـا مـن طالـب فلقـد وأشرف الحور والولدان من غرف ثم الصلاة على المختار من مضر كأنما هي ياقوتٌ ومرجـانُ والعـين باكيـة والقلـبُ حـيران إن كـان في القلب إسلام وإيمان تزخرفتْ جنة

المأوى لها شانُ   فازت لَعمري بهذا الخير
شجعانما هب ريح الصبا واهنز أغصان

هذه آخر القصيدة المبكية على ذهاب شوكة الإسلام المبينة عن تغير أحوال الشهور والأعوام، ولما كان فيها التحريض على الغزو وحماية الدين ألفنا في ذلك كتاباً مختصراً جامعاً لفضائله وأحكامه وسميناه بـ ((العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة)) وقضينا وطر الإبلاغ والتبليغ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران:١٨٧]، والجهاد باللسان أحد الأقسام.

ونسأل الله تعالى قبول الأعمال، وحسن الختام.

قرب الرحيل إلى ديار الآخرة	فاجعل إلهي خير عمري آخره
فلئن رحمت فأنت أكرم راحم	وبحار جودك يا إلهي زاخره
آنس مبيتي في القبور ووحدتي	وارحم عظامي حين تبقى ناخره
فأنا المسكين الذي أيامه	ولت بأوزار غدت متواتره
وتوله باللطف عند مآله	يا مالك الدنيا ورب الآخره

انتهيت من تهذيبه وتنقيحه ١/شعبان/١٤٠٦هـ، ثم أعدت النظر فيه وأعددته للطباعة في ١٤/ربيع ثاني/١٤٢١هـ.

فهرس الموضوعات

Contents